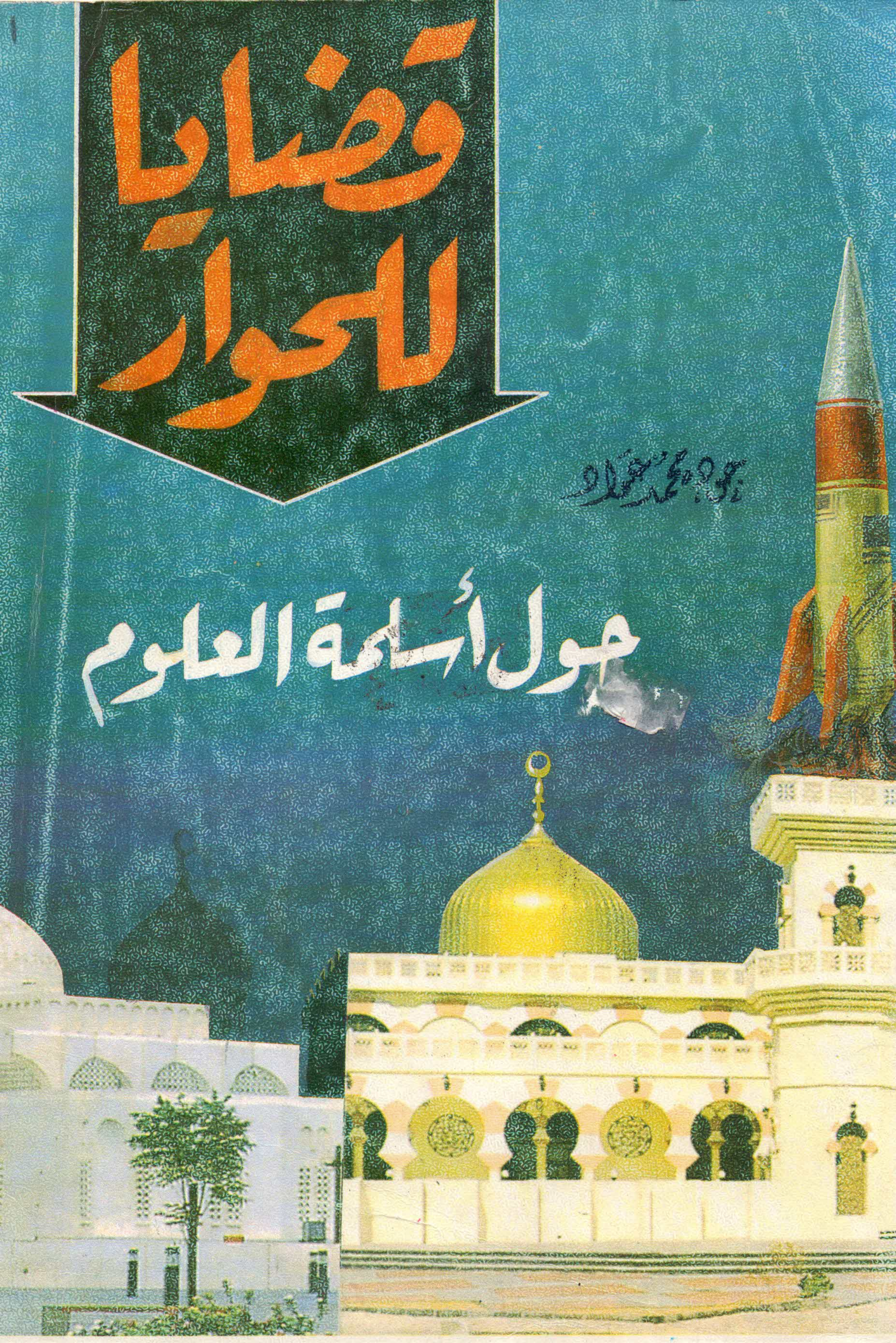

قضايا للحوار
د. محمد عماره
حول أسلمة العلوم



تطوير التعليم هو قضية الساعة التى تشغل عقول الأمم وتبني عليها تطورها وخططها ، وحضارة الأمة وتقدمها لا بد أن تكون ذاتية ، تابعة من عقيدتها ، راسخة فى عقول أبنائها ، وإن كان يمكن لها أن تأخذ أحسن ما فى الحضارات المعاصرة دون أن تتقيد بها كلية ، ونحن نطرح فى هذا الكتاب بعضا من الأفكار الجريئة نخاطب بها المخلصين من رجال أمتنا ، والذين نعقد عل[illegible] الأمل فى التغيير الجذرى والشامل لمناهج التعليم المعاصر [illegible] ومن بين الموضوعات :

- حول مؤتمر تطوير التعليم فى مصر :
  الى متى سيظل الاسلام بعيداً عن التعليم ؟
- محمد على باشا وراء تخلف مصر
- تاريخ دخول المدارس الأجنبية إلى مصر .
- الدين والسياسة والضباط الأشرار .
- سياسة تعليمية جديدة للبنات .
- التعليم الأزهرى فى مصر ومحاولة لعلاج الفشل .
- مادة سنن الله الكونية (الفيزياء سابقا) .
- كيف نشأت الأرض ؟ ومتى خلق آدم ؟ وهل كان آدم غبيا محدود العقل ؟
- مواد جديدة يجب اضافتها لمناهج كليات الطب قبل أن يتحول الأطباء الى جزارين .
- لماذا لا يدرس طلاب التجارة فقه البيوع والمعاملات فى الاسلام ؟
- للمدينة الاسلامية شروطا — كما أن للمبانى الحديثة عيوباً لا يعرفها المهندسون المعاصرون .

مطابع المختار الاسلامى

جودة محمد عواد

قضايا المناقشة والحوار

حول أسلمة العلوم والمناهج الدراسية لتطوير التعليم

أفكار جديدة لإزالة سموم الاستعمار
وصياغة المناهج بالصبغة الإسلامية
لصياغة العقلية الإسلامية المعاصرة

إهداء

الى طلاب الجامعات وأساتذتهم ..

الى المخلصين المهتمين بنهضة أمتهم ..

الى الذين يشاركون بفكرهم وجهدهم فى تطوير التعليم ..

أهدى هذه الأفكار ..

رجاء أن تثير فيهم تساؤلات .. تجمعنا بهم لنصل معا بالحوار الهـادف ـ باذن الله الى طريق الحق والرشاد ..

وبالله التوفيق ..

جودة محمد عـــواد

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

العالم حولنا يتقدم بخطوات سريعة ، يسابق الزمن ، ونحن مازلنا نحبو ، ندور حول أنفسنا .. ودائما فى المؤخرة ؟ !

والمتأمل لحالنا يجد تناقضا عجيبا بين ما يقال وما يعلن وبين ما هو واقع بالفعل ! •

والشباب الجامعى طاقات مهدرة ومواهب مدفونة ، وأبحاث علمية ورسائل جامعية للماجستير والدكتوراة لا يستفاد منها بالرغم من آلاف الجنيهات التى أنفقت عليها فى الجامعات ومراكز الأبحاث ، وهو هائم حيث يشاء ومتى شاء ، الى الفيديو والجنس الذى ملأ البيوت والنوادى وصار كالوباء الخبيث ، الى الكرة ومهرجاناتها التى لا تنقطع أبدا •• يتعصبون لها كتعصب الكفار للآلهة •• والسياسة العليا توجههم الى ذلك ••

يستقون أفكارهم من برامج تلفزيونية وتمثيليات وغيرها من أناس لا عقيدة لهم ولا مبادىء ، ولا يعلمون أن أكثر من ٨٠ ٪ مما يقدم من مواد اعلامية صهيونى المصدر ! •

بيوتهم تمتلىء بأشرطة الأغانى (الكاسيت) والفيديو ••

وحبذا لو كانت شرائط أجنبية ليدل الشاب على مدى ثقافته (خيبته) •

والفتيات منهن ينشغلن بمجلات الأزياء والموضة .. (الشبكة والموعد وسمر وحواء والكواكب وأخبار نجوم الفن والسينما) ؟ كل منهن تحلم بأن تكون نجمة مشهورة ولامعة .. تفتن العالم وتتحدث الجرائد والبيوت عنها ! .

فاذا استحال عليها هذا الحلم .. تشبهت باحدى (اللامعات) فى ملابسها وزينتها وتسريحة شعرها . فاذا ما جلس الشباب الجامعى مع بعضه — فى جلسات الصحاب — فلا حديث أمتع من الحديث عن الأفلام والنجمات الصاعدة .. والمواهب الجديدة !! ولا حديث أسخن من حديث الكرة وليس معقولا أن يكون شاب بلا ميول فنية أو رياضية !

ثم يتعدى الحديث الى الموضة والأناقة .. ودواعى الجاذبية ولفت الأنظار للجنس الآخر دون جدوى !

وأثناء ذلك هم يدخنون بشراهة .. لأنواع عديدة .. وربما يتعاطون أشياء أخرى !!

ويلعبون التسالى .. كالكوتشينة والطاولة والشطرنج والدومنة وغيرها ؟ ! ..

وينظر الأباء والأمهات الى الشرائط التسجيلية والمجلات الهابطة وألعاب التسالى نظرة اعجاب وتفاخر !! هذه شقاوة الشباب ؟ .

ومناقشة هذه الأشياء كلها تفصيليا كانت فى كتابى الأول « الفراغ القاتل » وليرجع اليها من شاء ، ولا داعى لتكرارها هنا .. لكنى هنا أقدم قضايا أخرى للشباب المثقف المسلم أدعوه بكل معنى فى الإنسانية جميل أن يحترم عقله .. وأن ينظر الى المستقبل الذى لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى متفكراً متدبراً فيما يجرى حوله من أحداث جسام .

بدلا من اللهو والرقص على أنغام الفشل واليأس والتخلف والديون الثقيلة ! .

شباب المسلمين اليوم فى حاجة الى دق ناقوس الخطر .. انهم جميعا الى الهاوية .. الا من رحم الله ، فالدول الكبرى ترسم سياسات الدول الصغرى .. تبث الفتن من صفوفها الداخلية .. تقسم أبناء البلد الواحد الى طوائف وأحزاب متصارعة ! وتشجع أحد الفريقين على الآخر حتى تنجح فى النهاية فى تعيين رؤساء الدول الموالين لها .. تجمعهم تحت شعارات شيطانية .. فى غير ولاء لله ، تمحو هويتهم الاسلامية .. تصرفهم عن معانى العقيدة والجنة والجهاد والأخوة فى الله..الى تعصب للكرة والغناء والأحزاب التى تبحث لها عن كراسى تحت سقف البرلمان دون نظر الى وعودها القديمة ! .

هانت علينا أنفسنا فهنا على الله .. وجعل أمورنا بيد غيرنا .

ان كل صغيرة وكبيرة تحدث فى بلادنا تعرف فى الحال فى أمريكا عن طريق الأقمار الصناعية ووكالات الأنباء اليهودية .. حتى ارتفاع أسعار الخضر فى الأسواق !

ويخصص فى « البنتاجون » الأمريكى مبنى كامل لتحليل جميع الأحداث والظواهر التى تحدث فى الشرق ، ومن أهم توصياتها : ضرب الشباب المتمسك بدينه عند ظهوره فى أى مكان وتهمس بذلك لرؤساء الدول .. كشرط لاستمرار المعونات الأمريكية ، لأن هذا الشباب هو الوحيد الذى يفهم الحقيقة ، وهو لن يرضى بالاغراءات الرخيصة التى ترضى غيره من الشباب !

هل تصدق ؟

أن الحفلات التى أقيمت خلال سنة ١٩٨٥ لصالح المجاعات فى افريقيا ـ والتى جمعت ملايين الدولارات تحولت الى جمعيات التبشير بالنصرانية .. التى تتوغل فى أفريقيا ويكون التنصير مقابل الطعام والكساء ! .

هـــل تصـــدق ؟

أن هناك حربا شرسة على المرأة المسلمة اذا التزمت بدينها ، ويشـــجعون من يفتى بحرمان المرأة من المسجد وجماعة المســلمين ودروس الفقه باســم الدين !

مع أن الأندية المشبوهة ــ كالروتارى والليونز ــ وليدة الماسونية تنتشر فى مصر وغيرها حتى فى الأحياء البسيطة •• تجتذب النساء تحت شـــعار « الاخاء الانسانى » بعيداً عن الأديان وأن أكثر أعضاء هذه الأندية مسلمات نابهات ! بعد أن حظر البابا على المسيحيين دخول هذه الأندية التى تهـدم الأديان •

وهـــل تصـــدق ؟

أن تنفق أمريكا ملايين الدولارات (فى شكل معونات خبيثة) لابعـاد أطفال المسلمين عن اسلامهم وقرآنهم بشتى الاغراءات ، مثل لعب الأطفال الحديثة (بالكمبيوتر) وتليفزيون ملون هدية لكل حضانة اسلامية ، وبرامج أطفال أجنبية للاضحاك والتسلية فقط ! وصندوق هدية لكل مدرسة ابتدائية فى ريف مصر (من أمريكا) يحتوى على أدوات الزراعة وخرائط حديثة •• مكتوب فيها « اسرائيل » بدلا من « فلسطين » على الخرائط الجديدة !!

وتتأكد الادارة الأمريكية من ذلك بأن ترسل خبرائها الى المدارس فى أقصى الصعيد للتأكد من الشرح على الخرائط الجديدة •

هل تنبهنا الى اللعب الخبيثة التى تلعبها أمريكا فى جنوب الســودان حيث تشــعل هناك فتنة التبشير نفصل الجنوب عن الشمال وتمزيق الأمــة •• وتمد المتمردين بالسلاح والغذاء ؟ •

وأيضا ما تفعله اسرائيل (وليدة أمريكا) فى جنوب لبنان •• حيث أصبح لها ما يمكنها من ضرب المفاعل الذرى العــراقى •• وضرب مقر المنظمــة الفلسطينية فى تونس .. وصواريخ سوريا !!

المجاعات والحروب والأمراض الخبيثة تنتشر •• والدول الكبرى تخطط لاستخدامنا خدما وعبيــداً وشبابنا يلهو ويضحك ويضــيع الوقت فيــما لا يفيد !

خطر التلوث بالاشعاع الذرى بعد كارثة « تشيرنوبيل » يهدد العــالم كله بالسرطان والتشوهات الخلقية •• وشبابنا يسهر على مسرحيات ساقطة ومجلات خليعة ؟

فماذا بقى لنا فى هذا الصراع المرير ؟

والاجابة واضحة ، بقى لنا الله ــ سبحانه وتعالى ــ وشريعته تضــمن لنا العز والسعادة والقيادة شريطة أن نتمسك بها !

بقى لنا الاسلام دينا ودولة •• عقيدة وشريعة •• سيفا وقلما •• قلبا وقالبا •• جوهراً ومظهراً !

وكان الطريق الصحيح هو التعليم السليم •• بمناهج سليمة •• لا لبس فيها •• تميز المسلم عن غيره !

وكانت هذه المقالات التى نشرت فى المجلات العربية خلال أعوام ٨٥ ، ٨٦ ، ١٩٨٧ ؛ تحمل أفكاراً جديدة فى محاولة مخلصة لله سبحانه لمقــاومة التغريب ، وتجديد الفكر الاسلامى المعاصر ، وصبغة المناهج كلها بالصبغة الاسلامية ، والروح الاسلامية ، وتطويع العلوم كلها لخدمة الدعوة الاسلاميه •• بما فتح الله به علينا من علم •

والهدف من هذه الموضوعات هو بناء المسلم المعاصر ، وتقديم العلوم نه من وجهة نظر اسلامية تعترف لله بالوحدانية ، وللبشر بالخلافة فى الأرض لتعميرها وتسخيرها وتفجير طاقاتها •• ليواجه سموم الشرق والغــرب •• مما يرى ويسمع ويقرأ ويفرض عليه بفكر جديد ، لا ينخدع ولا يساق ولا ينبهر .. انما يقدم الجديد المميز •

* * *

الباب الأول

بين الماضي والحاضر وقضايا الساعة

١ ـ مؤسسات التعليم فى الاسلام ..

٢ ـ محمد على باشا هل هو مؤسس النهضة الحديثة ؟

٣ ـ تاريخ دخول المدارس الأجنبية مصر ..

٤ ـ الدين والسياسة ..

٦ ـ حول المؤتمر القومى لتطوير التعليم ..

٧ ـ القضية الاقتصادية والحلول السريعة ..

قضــــية اصـــل العـــلم

ونشاة المدارس فى الاسلام

اذا كنا ندعى أننا فى عصر العلم،فلنبحث عن العلم فى ديننا أولا ثم نبحث عنه بعد ذلك عند غيرنا ! ولا يوجد دين اهتم بالعلم كاهتمام الاسلام ، ولا يوجد كتاب عن الأرض أشرف ولا أشمل ولا أعمق من القرآن الكريم ، ويكفى المسلم فخراً أنه بهذه المعجزة العلمية الالهية تحولت أمة امية لا تقرأ ولا تكتب الى علماء ينتشرون فى الأرض ينشرون النور والرحمة والخـير والسلام ؟ .

أى سحر فيه وأى سر ؟ .

ان أول آية نزل بها الأمين جبريل على الأمين الصادق محمد بن عبد الله هى : « اقرأ » ، ولا سبيل للقراءة الا بالتعلم ، ثم حدد الله نوع القــراءة « باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » (سورة العلق) .

ثم نزلت الآيات تباعا تؤكد أهمية العلم ، وأنه يســبق العبــادة ، بل ويشترط العلم قبل العبادة ! فلا شرف يعلو أهله .

والمكانة لأهل العلم بقدر ما عندهم « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة : ١١) .

وعلمنــا الله أن نطلب المزيد من العــلم دائما « وقل رب زدنى علما » (طه : ١١٤) .

وأكد الرسول فى أحاديثه الصحيحة : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » (رواه البخارى) •

و « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » (فى الصحيحين) •

وحدد الرسول نوع العلم فقال : « العلم فى ثلاثة : آية محكمة ، أو سنة قائمة ، أو فريضة عادلة » (رواه أبو داوود) (١) •

وهذا العلم من أعلى درجات الجهاد •• جهاد النفس ، وهو يغنى العلماء عن القتال .

وكانت دار الأرقم بن أبى الأرقم فى مكة هى المدرسة الأولى لرسول الله ، ثم انتقلت مع رسول الله الى المدينة المنورة فى مسجده الشريف •

وبعد رسول الله كانت الدولة الاسلامية الفتية تتسع فى ربوع الأرض ، تبنى مجدها على العلم بالله ، وأجمع العلماء على أنه : « من يعبد الله على جهل فكأنما يعصاه » ، « ولا عذر لجاهل فى بلد المتعلمين » وقسموا العلم الى قسمين :

١ ـ فرض كفاية :

فهو كل علم لا يستغنى عنه فى قوام الحياة ، كالكيمياء والطب والحساب وعلوم الحياة ، فهى علوم لا يجب على كل الناس تعلمها ، ولكن يجب أن يتعلمها البعض بالاختيار حتى يستغنى المسلمون عن أعداء الله ، فاذا قام بها البعض صارت فى حقهم فرض عين وجب عليهم اتقانها وسقطت عن الباقين ، واذا تركوها جميعا أثموا :

---

(١) اضواء على السنة : احمد عبد الجواد الدومى :

٢ - فرض عين :

وهو واجب على كل مسلم مهما كانت وظيفته ، وهو العلم بالله ، معرفة ذاته وحفظ أسمائه الحسنى وأفعاله وصفاته الواجبة والجائزة ، ثم أركان الايمان الأخرى كالايمان بالملائكة الكرام والشياطين والسحر والرسل السابقة والكتب السماوية التى انزلت قبل نبى الله محمد صلى الله عليه وسلم، كذا الايمان باليوم الآخر وما يسبقه من مرض وسكرات موت وضمة قبر ، ثم عذاب القبر ونعيمه ثم أهوال القيامة وعلاماتها الكبرى والنفخ فى الصور والبعث والحشر والشفاعة والميزان والحساب والصراط وتطاير الكتب وصفة الجنة ونعيمها وأهلها وصفة النار وأهلها وجحيمها ، والقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره .

والايمان هذا شرط لصحة العبادة كالصلاة والصيام والزكاة والحج ، كما ورد فى حديث ابن عمر :

« كنا نؤتى الايمان قبل القرآن » .

والعلوم الشرعية المفروضة على كل مسلم تنقسم الى : أصول وفروع ومقدمات ومتممات .

فالأصول :

كتاب الله وسنة رسوله واجماع الأمة وآثار الصحابة .

والفروع :

ما يفهم من هذه الأصول كتفسير القرآن ، وشرح الحديث وفقه العبادات والمعاملات .

والمقدمات :

وهى ضرورية لفهم كتاب الله وسنة رسوله مثل : علم النحو واللغة وأساليب البلاغة .

والمتممات :

كعلم القراءات ومخارج الحروف ، وكالعلم بأسماء رجال الحديث وأحوالهم وعدالتهم •

[كتاب مختصر منهاج القاصدين]

المسجد والحضارة :

كان المسجد هو محور الحياة كلها ، فهو المدرسة والجامعة وهو النادى وهو قاعة الاجتماعات ؛ وهو المحكمة والمستشفى ؛ هو مبنى الحكومة أيضا !

وبدأت الحضارة تشرق من المسجد ؛ وحضارة الاسلام هى ما قدمه للمجتمع البشرى من مآثر وأفضال ؛ فهذه عقيدة التوحيد الخالص لله الواحد الأحد ؛ الله بلا وصف ولا تشبيه ولا تجسيد كما تتخبط الأديان المحرفة على الأرض ؛ وهذا نظام سياسى فريد لم تعرفه البشرية من قبل يتمثل فى الشورى والبيعة وشروط الخلافة ؛ يلتزم فيه الحاكم والمحكوم بشرع الله ؛ وان أساء فى شريعة الله وجب عزله • وهذا نظام جديد فى الاقتصاد يحرم الربا واحتكار السلع والاستغلال ؛ ويحث الغنى على أن يعطى الفقير بعد أن كان الفقير هو الذى يدفع للغنى الضريبة !

وهذه سياسة تعليمية جديدة (التى نحن بصددها) تجعل التعليم فرض عين ، وقد كان التعليم قاصراً على الكهنة •• بل كان شارلمان يحكم أوروبا كلها وهو لا يعرف القراءة والكتابة ! •

وفى حالة الأمن والحرب ، أرسل الله محمدا لينشر الأمن على الناس « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تعتدوا انه لا يحب المعتدين » (البقرة : ٢٠٨) •

وهذه المرأة ترى النور فى الاسلام ، وتأخذ حقوقها كاملة فى التعليم

واختيار الزوج والعمل المناسب لها وحق التملك والميراث والمهر والتكريم والبر أماً وزوجة وابنة واختا وقريبة !

الحضـــارة المقتبســـة :

ولم يكتف علماء المسلمين بعلومهم ، بل قاموا الى علوم اليونان فترجموها وأضافوا اليها ، فكانت الحضارة المقتبسة عنهم ، وذلك بعد أن ماتت كتب فلاسفة اليونان بعد ما جاءت المسيحية ودمرت الثقافة بقـول رهبانهـا : « ما جاء به الكتاب المقدس فهو حق وما دونه فهو باطل » .

انتقال الحضارة الى اوروبا :

ثم انتقل نور الاسلام الى أوروبا عن طريق الطلبة المبعوثين الى الجامعات الاسلامية فى قرطبة وبغداد وصقلية والأزهر .

لقد تعلمت أوروبا من المسلمين الشورى والانتخاب والأخذ بأسـباب العلم ، وتحرر جيش أوروبا وقد كان من العبيد أيام الحروب الصليبية فى القرون الوسطى ، وبدأت المرأة الأوروبية المستعبدة تطالب ببعض الحقوق التى أعطاها الاسلام كاملة للمرأة المسلمة المتفقهة فى دينها .

● مؤسسات التربية :

١ ــ الـــكتاب :

وقد وجد أولا بالقرب من المسجد كغرف ملحقة ، وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم ــ أمر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين لأنهم لا يتحرون النجاسات ولا يرعون حرمة المساجد ، وظـل الكتاب هو المـكان الرئيسى لتعليم الصغار القرآن الكريم ، وقد اعتبره كثير من العلماء فرضا من فروض [1]

---

١ ــ فى تاريخ التربية والتعليم :

الكفاية ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم حض على التعليم كما حدث مع أسرى بدر فقد قبل منهم أن يفتدوا أنفسهم بتعليم عشرة من أبناء المسلمين •

والكتاب منتشر فى كافة الأمصار ، يتعلم فيه الغنى والفقير ، دون حدود للسن ، الذكور والفتيات (فى مكان خاص بهن) •

وكان تعليم الصبيان على أيدى الفقهاء دون غيرهم ، وبعيداً عن مسئولية الخلافة والحكام بأجر زهيد ، ومن الفقهاء من آثر تعليم الأطفال ابتغاء مرضاة الله •

يذكر ابن خلدون فى مقدمته . أن ما كان يدرسه الولدان كان يختلف من قطر الى قطر آخر ، فقد اشتملت بالاضافة الى القرآن الكريم على مبادىء الحساب وقواعد اللغة العربية الى جانب تعلم القراءة والكتابة والخط والشعر ، وقد استعمل الأولاد الألواح فى الكتابة •

ولم يعرف الكتاب ــ أو التعليم الابتدائى بلغة عصرنا الالزام من الدولة بل كان الالتزام به من قبل الأفراد أنفسهم ، فقد كانوا يقدسون القرآن ويعتزون به •

٢ ــ **المسجد الجامع :**

وهو كما ذكرنا دار العبادة ومحور الحياة كلها ، وهو المدرسة المتوسطة والجامعة ، يستطيع أى فرد أن يستمع الى الدروس التى تتردد فى جنباته مادامت لديه الرغبة فى التعلم والقدرة على الفهم ، كما لم تكن هناك شروطا خاصة بالسن أو الجنس • وكان الطلاب اما منتظمون لا ينقطعون الا بعد احصول على اجازة من الأستاذ المختص ، واما غير منتظمين يحضرون للاستماع دون التقيد بحلقة معينة أو منهج معين !

وكانت أبواب المساجد مفتوحة ليل نهار ، ولم يكن الطلاب يدفعون شيئا ، بل كانوا يأخذون هبات وعطايا (وبخاصة المنتظمون منهم ، المنقطعون للعلم) •

وكانت الدروس تشمل جميع فروع العلم الاسلامية وغيرها من الشعر والنحو والفلك والحساب وغيرها . وكانت أوقات الدرس عادة ما بين الصلوات ، وكانت حلقة الدرس تتسع بقدر مهارة العالم وشهرته ، فقد كان يحضر حلقة الامام أحمد بن حنبل خمسة آلاف طالب !

ولم تكن هناك ثمة شروط سوى الالمام بأساسيات القرآن والنحو قبل الانخراط فى الدراسة العالية . كما لم تكن هناك مدة محددة للدراسة ، فمن الناس من كان يتزود بالعلم طيلة حياته .

ومن أشهر المساجد الجامعة التى اشتهرت بالتدريس : الجامع الأموى بدمشق ، والزيتونة بتونس وعمرو بن العاص والأزهر بمصر وغيرها كثير .

٣ — الكتب والمكتبات :

ازدهرت الكتب رغم عدم وجود المطابع ، فقد كان الاعتماد على النسخ باليد ، وكانت دار الكتب تزود النساخ بالورق والأحبار وأدوات الاضاءة ، وزودت المساجد والجوامع بخزانات الكتب ، كما عنى بعض الناس بمكتباتهم الخاصة ، هذا الى جوار المكتبات العامة .

وكانت خزانة الحكمة أو بيت الحكمة الذى أسسه أبو جعفر المنصور (١٥٨ هـ / ٧٧٤ م) من أوائل المكتبات العامة ، التى زودت بما ترجم أيضا من كتب اليونان فى الفلسفة والطب والهندسة .. الخ .

اما المناظرات :

فكانت تعقد أحيانا فى حوانيت الوراقين ، أو فى دور العلماء وقصور الحكام ، وهى وسيلة هامة من وسائل المعرفة والثقافة بطريقة سهلة لا كلفة فيها دون التقيد بمكان .

وقد اشتهرت بعض النساء بهذه الحلقات منها السيدة سكينة والولادة بنت المستكفى .

٤ ـ « البيمارستان » او دار المرضى :

وأول من بنى البيمارستان لعلاج المرضى ودراسة الطب هو الوليد ابن عبد الملك سنة ٨٨ هـ على ما يقرر المقريزى ، ومن أشهر البيمارستانات المنصورى الذى بناه أحد أمراء المماليك سنة ٦٨٣ هـ وقد نظم فيه العقاقير والأطباء ، ومن المشهور أن هذا اللون من التعليم سبق به الاسلام ، وكان له الفضل فى انشائه .

والآن لنا ان نتساءل :

متى خرج التعليم من المسجد ؟ ولماذا ؟

وما هى نتيجة ذلك ؟

الثابت تاريخيا أن المدرسة لم تظهر فى الاسلام الا فى القرن الخامس الهجرى ، وقد ظهرت على أساس سياسى ، فقد اقيمت المدرسة للرد على المذهب الشيعى الذى كانت تتم الدعاية له فى مصر والشام فى زمن الفاطميين ، وتعللوا لاقامتها وقتئذ ـ كمعاهد مستقلة للتعليم ـ بأن المساجد كانت تزدحم بحلقات الدرس والمناقشة حتى يتسع الحوار ، وترتفع الأصوات بصورة تتنافى مع جلال المسجد .

ترى .. هل عادت المساجد اليوم عامرة بالحلقات العلمية المتنوعة ؟

ومهما يكن من أمر فان التعليم فقد بركته وخيره منذ خرج بعيداً عن المسجد !

لقد كان العلم عبادة كالصلاة ، لا يجلس الطالب فى المسجد الا على وضوء ، يتجنب لغو الحديث وسىء الكلم ورفع الأصوات ، أما فى مدارسنا فكلنا يعلم الهدف من التعليم وثماره !

هل يمكن أن نجعل بعض حصص الدراسة بالمسجد .. والأخرى بالمدرسة للربط بينهما ؟ ! .

لقد خرجت المدرسة من المسجد ، وخرج مجلس القضاء وعقد القرآن ، كما خرج اجتماع الناس بعيداً وبقيت المساجد خرابا الا من صلوات لا خشوع فيها !

واذا كانت المدرسة قد بدأت متشابهة مع المسجد فى البناء والوظيفة والغرض ، بالاضافة الى مكان مسكن الطلاب المنقطعين للعلم واستراحة المدرسين والمرتبات التى تجريها الدولة للطالب والأستاذ ؟ فانها اليوم صارت لا تشبه المسجد فى شىء ، بل هى الى مبانى الغرب أقرب •

والدعوة الآن •• هل من عودة جماعية الى المسجد ؟ متى ؟ وكيف ؟

ان فى المسجد عزنا الأول وذكرى انتصارات جيوش الاسلام الفاتحة •• فهلا عدنا •



قضية تاريخية :

محمـــد على باشـــا

هل هو مؤسس النهضة الحديثة فى مصر

● لماذا تقلب صفحات التاريخ ؟

قد يكون من المفيد أن نراجع حسـاباتنا بين حين وآخـر ، ونقلب فى أوراق تاريخنـا ، علنا نجد فيها دواء للعلل التى تصيبنا ، فان الأحـداث ــ فيما نظنها ــ تتشابه على مدى الأزمان ، ومراجعة التاريخ كل حين تكون من الأهمية بمكان ، حيث تتيح لنا فرصة الاستنباط من المادة التاريخية المتاحة التى نادراً ما تكتمل حلقاتها ، كما تعلمنا ألا نكرر أخطاءنا ، وأن نتعلم من أخطاء من سبقونا •

على أننا لا نجزم بأن رأينا هو الأوحد ، فموضوعية الأحكام فى هـذا المجال نسبية وليست مطلقة ، لكننا نوعوا الله على كل حال أن يلهمنا رشدنا بلا شطط أو تجاوز •

والذى يهمنا فى هذا البحث أن نفيد قراءنا الأعزاء بجذور بلائنا وأسباب شقائنا ، ليسهل علينا العلاج اذا ما وضعنا أيدينا على مكمن السموم •

وكان من الأسباب التى دفعت الى كتابة هذا البحث ؛ تمجيد الدكتور أحمد شلبى لشخصية محمـد على وأنه مؤسس مصر الحديثـة ، وذلك فى موسوعته عن الحضارة الاسلامية ، كذا ما يدرس لطلبة المدارس والكليات فى مصر (وبخاصة الصفين الثالث الاعدادى والثالث الثانوى الأدبى) • وكذا منهج تاريخ التربية والتعليم المقرر على طلبة كلياب التربية فى مصر •

ومما أسرع بالكتابة هو ظهور كتاب الهلال اكتوبر ١٩٨٦ للاستاذ شفيق غربال بعنوان « محمد على الكبير » يمدح فيه الرجل ويبرر جرائمه ؟ ! .

اصل محمد على ومولده :

ولد محمد على سنة ١١٨٣ هـ (١٧٦٩ م) وهو ألبانى مقدونى أوروبى الأصل ، كان أبوه على رأس كتيبة من رجال الحفظ فى المدينة ، فلما مات أحب محمد على ركوب الخيل واستعمال السلاح حتى تولى قيادة بعض التجديدات (الفرق العسكرية) . ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره تزوج ورزق بخمسة من أبنائه وبناته ، ويقال أنه عمل بعد زواجه فى تجارة الدخان ؟ !

وكان محمد على أميا ، ولم يتعلم القراءة والكتابة الا فى الخامسة والأربعين من عمره ؟ ! وحكم مصر قرابة ثلاثة وأربعين عاما متصلة ! (١٢٢٠ ـ ١٢٦٤ هـ / ١٨٠٥ ـ ١٨٤٨ م) فهو يعتبر اطول من حكم مصر منذ دخولها الاسلام الى اليوم !

وقد مات وقد تجاوز الثمانين من عمره وهو على الحكم .

كيف دخل مصر ؟؟

جاء محمد على الضابط الألبانى الى مصر مع التجريدة التى جاءت للدفاع عن مصر ضد الحملة الفرنسية التى قادها نابليون بونابرت فى صيف ١٧٩٨ ، وقد انبهر محمد على بجيش الحملة الفرنسية الى حد الافتتان ، فقد شاهد عجبا لم يسمع عنه من قبل ، فجيش الحملة مزود بأسلحة لا تعرفها الدولة العثمانية ، ومع الحملة جماعة من العلماء فى شتى العلوم !

جيش مدرب قوى يختلف تماماً عن تلك الجيوش الصليبية التى كانت تحارب فى القرون الوسطى وكان أغلب جنودها من العبيد !

وكيف وصل الى السلطة ؟

ومنذ ذلك الحين ، بدأت أحلام محمد على فى ملك مصر ، فأخذ يخطط لذلك ، وقدر الله له أن ينجح فى تخطيطه ، فلم يطب المقام للحملة الفرنسية فى مصر رغم تفوقها العسكرى والعلمى ، اذ أن عدوها الانجليزى كان يتربص بها فى الأسكندرية ، وحطم أسطولها فى أبى قير ، وعادت الى بلادها مرغمة سنة ١٨٠١ م وبخروج هذه الحملة عادت مصر ولاية عثمانية ، وعين لهـــا خسرو باشا (١٨٠١ ــ ١٨٠٥ م) الذى تعـدى ظلمه من سـبقوه ، وهنـا تنسك محمد على ، وأظهر للناس تمسكه الشديد بالاسلام ، ولما كانت هيبة علماء الدين فى قلوب الناس شديدة ، فقد تجمع النــاس خلف علمائهــم ، وذهبوا جميعا الى محمد على .. ذلك التقى ! واختاروه واليا عليهم بشروط أخذوها عليه ، وقام اليه السيد عمر مكرم والشـيخ الشرقاوى والبســاه الكرك والقفطان ونادوا بذلك فى المدينة ، وارسلوا الى الخليفــة العثمانى بذلك ، وفى الشهر التالى وصل مرسوم الدولة بتعيين محمد على باشا واليا على مصر خضوعا لارادة الناس لأول مرة فى تاريخ الخلفاء العثمانيون ! .

ماذا فعل الناسك بعد تولية السلطة ! !

بدأ بابعاد الضباط الألبان الكبار الذين جاءوا معه فى الحملة لينفرد هو بالحكم ، ثم بدأ بتصفية الزعامات الدينية التى أوصلته للحكم وعلى رأسها السيد عمر مكرم الذى نفاه ؟ وهو بهذا يعلن تصفيته للدين نفسه ، وازاحته بعيداً عن حركة الحياة ؟ .

لقد دخل مصر باسم الاسلام ، واختاره أهلها وعلماؤها باسم الاســلام وبشروط الأسلام ، ولكنه أعلن أن الاسلام لا يصلح ، وبدا يتجه الى الغرب .. حيث انبهر بهم ، ليجلب منهم الأجانب لتدريب الجيش (الغير مسلم) واقامة المنشآت والمدارس (لخدمة الجيش أيضا) !

ثم اتجه الى تصفية الأمراء المماليك الذين كانوا يحكمون مصر قبله ،

فكانت مذبحة القلعة الشهيرة ، التى تخلص فيها منهم جميعا .. تلك المذبحة التى سيتخاصم أهلها معه أمام الملك العادل يوم القيامة .

بعد هذه التصفيات وتلك المذابح (التى تجددت فى عهد عبد الناصر) عاش المصريون فى الرعب والخوف من بطش ذلك الوالى الظالم ، الذى سخرهم بعد ذلك تحت تأثير السياط كالعبيد فى مشروعاته وفى جيوشه التى أراد بها محاربة السلطان العثمانى والاستيلاء على الدولة الاسلامية .. بدلا من محاربة الروس والانجليز الذين قضوا عليه وعلى جيشه فى النهاية وألزموه حدود الأدب ؟ .

● ماذا قال المؤرخون عن محمد على ؟

لقد انتقد المؤرخون سلسلة الحروب التى خاضها محمد على وأنضبت موارد البلاد التى انهكت دون طائل ! فطموحه الى العظمة ، وأمله أن يكون مثل الأسكندر الأكبر ونابليون أعماه عن الحقيقة والتروى ، وجعله لا يقيس امكانياته والظروف الدولية المحيطة به بمقياسها الحقيقى ، وصدق فيه قول وزير خارجية بريطانيا فى ذلك الوقت « لورد بالمرستون » : ان محمد على يبنى على الرمال !

كما كتب المؤرخ المصرى عبد الرحمن الجبرتى فى تاريخه تلك المظالم كلها ، وانتقد عبد الرحمن الرافعى والشيخ محمد عبده مجزرة القلعة لأنها أشاعت الرهبة فى البلاد .

كما كتب الشيخ محمد رشيد رضا فى تفسيره للقرآن « المنار » استنكاراً للاحتفال بالذكرى المئوية لمحمد على فى المساجد (أيام خلفائه) مبينا أن من سيئات محمد على وأكبرها قتاله للحركة الوهابية الاصلاحية التى قامت (واستمرت بحمد الله) فى لجزيرة العربية وكذا حروبه للمسلمين ؟

هل تتصور مسلما يرسل جيشا بقيادة ابنه لقتال المسلمين الذين أعلنوا التمسك بحقيقة الاسلام وتطهيره من البدع والخلافات والخرافات وعبادة غير الله التى لازلنا نعانى منها فى مصر ؟

أما الدكتورة عفاف لطفى السيد ، الاستاذة بجامعة كاليفورنيا ، فقد أصدرت كتابا سنة ١٩٨٤ بعنوان : « محمد على » آكدت فيه بالوثائق أصله الألبانى ومخاطراته الحربية لاقامة مجد شخصى له ولأسرته من بعده ، وأن نهضته الصناعية لم تكن من فكره هو .. وان كانت أغلب صناعاته حكم عليها بالفشل لأنها كانت تحمل البلاد فوق طاقتها ، كما كانت فيها العجلة وسوء التخطيط . وتشير الدكتورة الى أن اليابان التى لا يتوفر فيها من المواد الخام ما توفر لمصر محمد على قد استوعبت المخترعات الحديثة ، وقفزت الى مصاف الدول العظمى فى فترة وجيزة !

وكتب « ميشو » مؤرخ الحروب الصليبية ما قاله مفتى المنصورة عندما بدأ المصريون فى تقليد الفرنسيين بعد البعثات التى بعثها محمد على :

« ان مثل الشرقيين فى محاكاتهم الغربيين والنقل عنهم مثل الرجل الكفيف الذى ارتطمْ فى وهدة ويدعو المارة الى مده بقبس من نار ! وعندى أن مجاوزة الهدف أسوأ من العجز عن بلوغه ، وما أشبه مدنيتكم بتلك الوسائل المتخمرة التى تحطم الاناء الذى تصبها فيه !

وهذا المستشرق « لين » يصور لنا سوء ظن عامة المسلمين بالأوربيين قال :

« كنت جالسا يوما عند أحد باعة الكتب ، فأتى رجل وطلب نسخة من رحلة رفاعة الى فرنسا ، فسأل أحد الحاضرين عما فى هذا الكتاب ، فتطوع رجل لاجابته بطريقة تهكمية فقال : « أنا أقص عليك نبأ هذه الرحلة بالحق ، انها تحتوى على وصف سفر رفاعة من الاسكندرية الى مرسيليا وعلى ما جرى له أثناء هذا السفر عندما سكر وعربد ، عند ذلك أمر الربان بشد وثاقه الى صارى السفينة وجلده ! ثم نزل الى بلاد الافرنج حيث طاب له لحم الخنزير ومعاشرة النساء الأفرنجيات ، ثم بعد أن ارتكب من الموبقات كل ما يعد له مقعده من النار عاد الى مصر ! نعم عاد الشيخ رفاعة (مؤسس مدرسة الألسن ومفلسف نهضة محمد على) ليقول عن الرقص الغربى أنه عياقه وشلبنه ! بعد أن كان مبعوثا مع الطلاب لاقامة الصلاة لهم .

ترى هل تهتم الدول الاسلامية الآن ببعثاتها العامية ، فترسل معهم أماما يقيم لهم الصلاة ويذكرهم بأمور دينهم وآخرتهم ؟ !.

● **انجازات محمد على :**

اعتمد محمد على على الأجانب فى مشروعاته .. وهو خطأ نحذر منه الدول الاسلامية اليوم اذا ما أرادت استقدام الخبراء الأجانب فى أى مجال من مجالات الحياة :

فعقيدتهم وسلوكهم ينعكس على مشروعاتهم ، فمثلا : اعتمد محمد على على الفرنسيين فى اعداد الجيش وتدريبه .. فخرج الجيش على روح الاسلام ، وبعد كل البعد عن شروط الاسلام وأهدافه ! ، فلا التدريب ولا ترتيب أفراده .. ولا نظم تعاملهم .. يمت للاسلام بصلة .. وورثت مصر هذا الجيش الى الآن ! ؟ جيشا علمانيا لا يبالى بدين أفراده أو عقيدتهم ؟؟ ترى هل يدافع عن الاسلام ؟ هل يعرف معنى الجهاد فى سبيل الله لاعلاء كلمة لا اله الا الله .. لينال النصر أو الشهادة والجنة ؟ .

أيضا الأجانب الذين استقدمهم محمد على كانوا يشربون الخمور .. ويسهرون على الرقص والغناء والقمار .. بل وأشاعوا الزنا فى البلاد الذى اشتهر فى مصر فى شارع يسمى باسم مؤسسة « محمد على » ؟ أيضا المؤسسات التعليمية التى أقامها الأجانب فى مصر .. أضاعت الهدف من التعليم ، وكان نظامها العسكرى منفراً للمصريين أدى الى انصراف أغلبهم عن العلم .. حتى ارتفعت الأمية فى مصر الى ٩٥ ٪ بعد محمد على ! ، لقد انخدع محمد على بالمناهج الأوربية ووضعها لمدارس المسلمين ، ونسى أن لدى المسلمين ميراثا عظيما ومناهجا تفوق الغرب لو أحسن استعمالها وتجديدها ! أيضا يعكس اعتماد محمد على على الأجانب مدى احتقاره للمصريين ، حيث كان يتعالى عليهم ولا يحدثهم باللغة العربية ، بل كان يتفاخر بأصله التركى ! ولم يجعل أيا من المصريين فى وظائف القيادة فى الجيش ، وكان يعتبرهم مجرد أدوات تسخر للعمل والكدح لتنفيذ أطماعه ، وورث

منه أبناؤه تلك النظرة للمصريين حتى قال الخديوى لأحمد عرابى قائد الثورة العرابية : « اا هذه بلادى ورثتها عن آبائى وأجدادى ، وما أنتم الا عبيد احساننا » ؟؟

لقد سخر محمد على المصريين لمشروعاته كما سخرهم الفراعنة لبناء الأهرامات التي جعلوها مقابراً لهم والتى يفخر بها الآن بعض الجهلة ! مع أنها « وصمة عار » فى تاريخنا وشاهد عيان على جرائم الشرك بالله وتسخير الأبرياء وقتلهم ، كما سخرهم « دبلسبس » فى حفر قنلة السويس بالاجبار ومات منهم المئات .. ! ولقد تهدمت مشروعاته وماتت حضارته كما تهدمت مقابر الفراعنة الا القليل منها .

● نهاية محمد على :

حاول محمد على كما ذكرنا تكوين قوة عظمى على حساب المسلمين وحدهم ! فأنشأ أسطولا بحريا لم يكن ليضارع الأسطول الاسلامى الذى أنشأه عثمان بن عفان الخليفة الثالث لرسول الله صلى الله عليه وسلم — والذى حطم الأسطول البيزنطى فى موقعة « ذات الصوارى » الشهيرة .. والذى صار المسلمون به سادة البحر فى زمانهم .. وتحول البحر المتوسط فى زمانهم الأغر الى بحيرة اسلامية ! ومع ذلك تحطم أسطول محمد على فى النهاية على يد من أحبهم وبنى حضارته الوهمية على أيديهم فقد اجتمعت انجلترا وفرنسا وروسيا وبروسيا وحطموا أسطول محمد على فى البحر ، وأجبروه على العودة من حيث بدأ ، كما انخفض عدد الجيش الى ثمانية عشر ألفا فقط بعد أن كان قرابة ثلاثة ملايين ؟ بل وأصبحت مصر من بعده مطمعا حيث احتلها الانجليز بالكامل سنه ١٨٨٢ م .

ولم يكن محمد على سوى قطعة شطرنج فى رقعة السياسة الدولية ، فلقد كان يخيم على أفق السياسة الدولية فى ذلك الوقت الصراع الاستعمارى الحاد بين بريطانيا وفرنسا ، وبين انجلترا وروسيا وكان ثلاثتهم ينتظرون سقوط الخلافة الاسلامية فى تركيا ليتقاسموا العالم الاسلامى فيما بينهم وهو ما حدث فعلا ..

وفى النهاية حققت بريطانيا أهدافها ، فحطمت قوة محمد على العسكرية، وطردته من أملاكه وصار يستعطفهم لابقائه فى حكم مصر له ولأبنائه من بعده ، فوافقوا الى حين عودتهم !

بعد هذا العرض السريع يستطيع القارىء أن يتبين كذب وزيف ما يدرس على طلبتنا من نهضة محمد على التى ورثناها فى شارع للزنا والخمور والرقص والأغانى والقمار العلنى فى مصر يسمى شارع « محمد على » .



قضـــية الغــزو الفكرى

تاريخ دخول المدارس الأجنبية مصر

● **طمس محمد على هوية مصر العربية المسلمة :**

فاحتقر أهلها واستبدل شريعتها بقوانين فرنسية ، وأسس جيشا فرنسيا يحارب الخليفة المسلم ، ومن يومها والحياة فى مصر .. الى يومنا هذا — صبغت بالصبغة الأوربية ، وكانت وسيلة فى كل هذا التغيير هى التربيــة والاعداد التعليمى ، سواء كان بالبعثات أو استقدام الأجانب أو الترجمة أو انشاء المدارس الأجنبية فى مصر .

● **لماذا اوروبا ؟**

بينما كانت أوربا تأخذ باسباب العلم الحديث فى التعليــم والاقتصــاد والحرب والسياسة كانت مصر تعانى — تحت وطأة الحكم العثـمانى الذى أساء فى تلك الفترة — من الجهل والفقر والأمراض والظلم الواقع عليهــا من الوانى .

ولما كانت الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ م أفاق الشعب المصرى وثار عـدة ثورات حتى أرغمت الحمــلة — رغم علمائهــا ومدافعهــا والتفوق الواضح فى العدة والسلاح — على الخروج من مصر ، وهكذا بدأ الشعب بثوره والتمرد على الظلم ، فثار أيضــا على الوالى العثـمانى الظــالم (خورشيد) ، وأغلقت أسواق القاهرة ، وأحاط الفلاحون الثوار بالقلعة ، وكانوا حوالى أربعين ألفا (على ما يقرره الجبرتى المؤرخ) ، ولكن ! بدلا من أن يتولى العلماء المصريين المخلصين الحكم ، قام بتولية ضابط ألبــانى خائن اسمه « محمد على » ، بعد أن أظهر لهم التودد والتنسك أيضا !

● الوالى المتنسك :

فماذا فعل هذا الوالى الماكر الذى لم يكن يعرف القراءة والكتابة حتى سن الخامسة والأربعين من عمره ؟ انخدع بحضارة أوروبا وجيشها ، وبدلا من أن يبحث فى الاسلام ويقرب العلماء ليبنى حركته ونهضته على أسس من الايمان والتقوى ، أبعد العلماء وغدر بهم ، وسفك دماء المئات فى مذبحة القلعة الشهيرة ، وبنى حضارته على الرمال ؛ زين له الشيطان سوء عمــله فرآه حسنا ، فجعل أوروبا كعبته من دون البيت الحرام ، فقد انبهر بها ، ولهذا بدأ باســتقدام الأجانب الى مصر حيث صــادقهم وقربهــم من دون المسلمين والمصريين خصوصا ، الذين كانوا محتقرين منه ومن عائلته ورثة الحكم فيما بعد .

ثم بدأت حركة الترجمة للكتب ، يذكر سعيد اسماعيل على فى « تاريخ التربية والتعليــم فى مصر » أنه تم ترجمــة ١١١ كتابا ، منهــا ٣٤ فى الطب البشرى ، ١٢ فى البيطرى ، ٣١ فى العلوم الرياضية و ٢٤ فى التــاريخ ، و٨ فى الجغرافيا .

ولم يكتف محمد على بالترجمة ، بل اتجه الى ارسال البعثات الى أوروبا ، فكانت الأولى سنة ١٨٠٩ الى باريس لمدة خمس سنوات ، والثانية الى ميلانو بايطاليا لدراسة فن الطباعة وسبك الحروف ، وفى سنة ١٨١٨ خرج الطــلاب الى انجلترا لتعلم الميكانيكا وبناء السفن ، وبلغ عدد المبعوثين الى أوروبا حتى سنة ١٨٢٦ / ٢٨ مبعوثا ، بينما كانت البعثة الكبرى الى فرنسا ســنة ١٨٢٦ وبها ٤٤ عضواً لدراسة كافة العلوم .

● مدارس محمد على :

ولم ينتظر محمد على حتى يعود المبعوثون ، انما فتــح المدارس قبــل عودتهم مستعينا بالخبراء الأجانب فما هى أهم المدارس ! .

١ ــ كانت أول مدرسة أنشأها بالقلعة سنة ١٨١٦ ، وكان المسئول عنها

« حسن أفندى الموصلى » وكان عدد تلاميذها ١٨ تلميذا يتعلمون القراءة والكتابة والقرآن واللغات وفنون الحرب •

٢ ــ وفى سنة ١٨٢٠ أنشأ بالقلعة أيضا « المهندسخانة » أو مدرسة الهندسة ، وتولى ادارتها مدرس ايطالى يسمى « كوستى » ، وفى سنة ١٨٣٩ أنشأ مدرسة العمليات وهى بمثابة ورشة عمليات لكثير من الصناعات كالخراطة والبرادة والنجارة وأعمال البواخر •

٣ ــ مدرسة الزراعة وانشئت فى قرية نبروه بالغربية ثم نقلت سنة ١٨٣٩ الى شبرا ، ويرى « هيوارت زن » : أن مشروع مدرسة الزراعة كان أقل تجديدات محمد على نجاحا •

٤ ــ مدرسة الطب سنة ١٨٢٢ ، وتولى هذه المهمة رجل يسمى « دوساب » ، حتى وصل كلوت بك الفرنسى مع من استدعاهم محمدعلى من أطباء أوربيين سنة ١٨٢٥ ، وأنشأ مدرسة الطب مستقلة عن الجيش عام ١٨٢٧ ، وكان تدريس الطب الأوروبى فى مصر لأول مرة باساتذة فرنسيين ، وكانت المدرسة فى أبى زعبل حتى نقلت الى قصر العينى ١٨٣٧ ، وقد بدأت المدرسة بمائة طالب اختيروا من طلبة الأزهر ، ولهذا بدأت مشكلة اللغة الى أن وصل المبعوثين سنة ١٨٣٦ من فرنسا •

٥ ــ مدرسة الصيدلة ١٨٢٩ ، وكانت بالقلعة ثم بأبى زعبل وناظرها ايطالى •

٦ ــ مدرسة الولادة سنة ١٨٣٢ ، وكانت تعد خصوصية الا أنها لم تغر جميع الطبقات ، فاقتصر الأمر على اليتيمات وبنات الجند ، وحرصت الحكومة على تزويجهن من زملائهن الأطباء •

٧ ــ مدرسة الطب البيطرى سنة ١٨٣١ ، وكانت فى رشيد ثم نقلت الى أبى زعبل ثم نقلت الى شبرا الى آن الغيت فى عهد عباس باشا •

٨ ــ مدرسة الادارة الملكية ١٨٣٤ وكانت بغــرض تخــريج مترجمين وموظفين لفروع الادارة المصرية وكان مقرها القلعة أيضا .

٩ ــ مدرسة الترجمة أو الألسن سنة ١٨٣٥ لتمد الحكومة بالمترجمين ، ومهمتها ترجمة الكتب اللازمة للحكومة ومصالحها ، وتولى ادارتها مفلسف النهضة العلوية رفاعة رافع الطهطاوى حتى سنة ١٨٥٠ .

١٠ ــ المدارس الحربية : بدأت بمدرسة أسوان ثم مدرسة اسنا ومدرسة أركان الحرب سنة ١٨٢٥ ، وكان سليمان الفرنساوى يتولى ادارتها .

١١ ــ المدارس التجهيزية : وهى تعد التلاميذ لمدارس الطب والمشـاة والفرسان وأركان الحرب ، وغالبية تلاميذها كانوا من الشراكسة والأكراد والأرناؤوط ، وكانت فى قصر العينى ، ولم يكن غـيرها فى مصر الى أن انشئت مدرسة الأسكندرية التجهيزية ١٨٤٤ ، وكانت مدة الدراسة بها ثلاث سنوات .

١٢ ــ التعليم الابتدائى (المبتديان) : وكان التعليم فيها تغلب عليـه سمة الأزهر ــ فى البداية ــ ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات ثم تغير بعد ذلك (كما هو الآن) .

● **نتائج حركة محمد على :**

وبعد هذا العرض ، قد يتـوهم القـارى ءأن محمــد على أراد بمصر وأهلها خيرا ؛ ولكن سأنقل لك ما ذكره أحمد عزت عبد الـكريم فى تاريخ التعليم فى عصر محمد على سنة ١٩٣٨ فى تحليله لنهضة محمــد على كانت هذه النتائج :

١ ــ انتكاسة فى التعليم الازهرى :

لازلنا نعانى منها حتى الأن ، وتتمثل هذه الانتكاسة فى الصراع الثقافى الذى أوجده محمد على ، فقد حارب التعليم الأزهرى الدينى ، حيث كان

يأخذ تلاميذه قسراً الى مدارس نظامه العسكرى فى التعليم الابتدائى الذى أحاطه برعايته ونفقاته مما أدى الى زيادة اهتمام المصريين بالتعليم العام أو : (الميرى كما كان يسمى) •

٢ ـ استخدام الأسلوب العسكرى الأوروبى فى المدارس :

حيث كان يقسم التلاميذ الى تقسيمات عسكرية ، والأوائل منهم يمنحون الرتب العسكرية وما عداهم أنفار •

ولهذا صبغت الحياة كلها فى مصر فى ذلك العصر بالصبغة العسكرية الأوربية ، حتى العقاب كان عسكريا كما كان دخولها اجباريا (كالتجنيد) •

٣ ـ تعليم الصفوة :

كان الهدف من التعليم ـ ليست النهضة كما يظن البعض ، هو التسلط واحكام القبضة على رقاب العباد ، بدليل أن مدرسة القلعة التى انشئت سنة ١٨١٦ اقتصر دخولها على المماليك الصغار ، وعندما فتحت المدرسة التجهيزية اقتصر طلابها على الترك والشراكسة واليونان والأرمن والاكراد ولم يكن بينهم مصريون !

حتى مدرسة أركان الحرب لم يسمح للمصريين بدخولها الا تحت ضغط الحاجة دون أن يعطوا رتبا قيادية •

حتى البعثات العلمية كانت غالبا ما تكون لأحد أبنائه أو أحفاده أو أقاربه أو أهل الثقة ؟ •

٤ ـ نمو التعليم الأجنبى وارساليات التبشير :

● قبل محمد على لم يكن فى مصر من المدارس الأجنبية سوى ثلاث :

١ ـ الفرنسيكان الكاثوليك :

وكانوا فى الأسكندرية منذ سنة ١٦٢٣ فى دير القديسة كاترن ، وأقاموا

بعدها عدة أديرة فى رشيد ودمياط ومصر القديمة ، ثم بنوا تسع مقابر جديدة لهم فى صعيد مصر سنة ١٧٣١ ، وفى سنة ١٧٣٢ تمكنوا من بناء كنيسة فى حى الموسكى الحقت بها مدرسة لتعليم أطفال الكاثوليك اللغة الفرنسية (وهى أول مدرسة فى مصر لتدريس لغة أجنبية) .

الجالية اليونانية :

وأنشأوا لأطفالهم مدرسة ، فى حى مصر القديمة فى دير سان جورج ثم مدرستين بحارة الروم والثانية بالأسكندرية عند منتصف القرن السابع عشر ثم اغلقت .

كتاتيب اليهود :

وكانوا أربعة كتاتيب بها ١٥٥ تلميذ يهودى ، حيث كان اليهود يعيشون فى مصر فى حارات مغلقة .

المدارس الاجنبية التى انشئت فى عهد محمد على :

١ ــ المدرسة الارمنية :

وهى أول مدرسة انشئت لجالية أجنبية فى عصر محمد على سنة ١٨٢٨ والحقت بكنيستهم الأرثوذكس بحى بولاق ، وكان ذلك بسبب استخدام محمد على للكثير منهم مثل بوغوص وأرتين واستيفان وغيرهم .

٢ ــ المدارس اليونانية :

وقد أغلقت ثم أعيد افتتاحها سنة ١٨٣٨ ، وظلت فى القاهرة تحت رعاية بطريرك الأسكندرية حتى سنة ١٨٥٦ .

٣ ــ الارسالية الكاثوليكية (الفرنسيكان) :

وذلك عندما أهدى اليهم محمد على سنة ١٨٣٤ قطعة أرض لاقامة كنيسة لهم ، صارت بعد ذلك بطريركية لجميع الكاثوليك اللاتين فى الأسكندرية ،

ثم انشئت مدرسة للبنات لهم بالقاهرة سنة ١٨٤٥ عندما وصل نشاط « الراعى الصالح » الى مصر •

٤ ـ الارسالية التبشيرية الانجليزية :

وكان نشاطهم أولا يتجه الى أقباط مصر ثم شمل المسلمين وكانت أهم أنشطة الكنيسة الانجيلية انشاء المدارس ، بدأها بالمعهد الانجليزى : وكان يهدف لتخريج قسس للكنيسة القبطية سنة ١٨٤٥ ، ثم مدرسة للبنين وأخرى للبنات وفيها تعلم الأقباط وقليل من المسلمين •

٥ ـ مدارس اليهود :

أسس « أدولف كريميو » مدرستين فى القاهرة فى ٤ ـ ١٠ ـ ١٨٤٠ احداهما للبنين والأخرى للبنات ، وكان عدد اليهود المصريين أنذاك ٦٠٠٠ نسمة و ٢٠٠ يهودى ايطالى ، ومنذ ذلك الحين بدأ اليهود ينتشرون ، ويخرجون من حاراتهم المغلقة ويتصلون بالأوروبيين ويقلدونهم ، وبلغ عدد مدارسهم سنة ١٨٧٠/١٤ مدرسة بالقاهرة وأربع مدارس بالاسكندرية (عادت كل هذه المدارس للأجانب بعد خروج اليهود من مصر بعد حرب ١٩٤٨ وقيام اسرائيل) •

● لماذا لم تستمر حركة محمد على ؟

يذكر عبد الرحمن الرافعى أن محمد على لم ينجح لأنه كان يريد مجداً لنفسه لا لأمته ، ولما نقل النظام الفرنسى الى مصر ، نقله دون النظر الى الحاجات الحقيقية للمجتمع المصري ؛ كما جعل كل شئون الاصلاح التعليمى فى قبضته رغم جهله !

كذلك كان غياب الشعب عن عملية الاصلاح من أهم أسباب فشلها ؛ ذلك أن محمد على كان مترفعا على الناس ، ولم يحفل بكسب تأييدهم أو اقناعهم ، ولهذا كانت عملية الاصلاح بلا جذور فى حياة الناس ؛ فانتهت بموت صاحبها •

أما أهم أسباب فشل حركته فكان من الخارج ، حيث تحالفت كل من انجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا ودمروا أسطول محمد على فى البحر ، وأدى ذلك الى معاهدة لندن ١١ ـ ٦ ـ ١٨٤٠ والتى قضت بحرمان محمد على من جزيرة العرب وسوريا وكريت وأن يكون حكم مصر وراثيا لأسرة محمد على ، وكان لذلك نتائج كثيرة منها : انخفاض الجيش الى ١٨٫٠٠٠ جندى بعد أن كان حوالى ثلاثة ملايين !

واشتدت الأزمة المالية بسبب الحروب ، فقام بتسريح الجند والموظفين فى المصانع ! وانعكس ذلك على التعليم العام ، فاغلقت المكاتب الابتدائية ، وقل عدد تلاميذ المدارس التجهيزية بالتالى .

● النشاط التبشيري مستمر فى مصر :

ولم يقف النشاط التبشيرى عند موت مؤسسة محمد على ، انما امتد الى أحفاده ، فيعتبر عهد حفيده سعيد باشا هو عهد المدارس الأجنبية فى مصر ، فبدأت بمدارس الفرير عندما منحهم سعيد أرض مصنع قديم فى شبرا سنة ١٨٥٩ ليقيموا عليها مدرسة ، ثم جماعات الفرنسيسكان التى افتتحت أيضا سنة ١٨٥٩ مؤسسة لشراء الجوارى وتدريبهم على الخدمة المنزلية ثم افتتحت لهن بعد ذلك عدة مدارس بالمنصورة والسويس وبوسعيد وقنا .

وكانت الارساليات الأمريكية التبشيرية قد بدأت سنة ١٨٥٥ بمدرسة للبنات بالقاهرة ثم للبنين ثم مدرستين بالأسكندرية ، وبعد ذلك اتخذوا أسيوط مقراً لهم ، وفى عهد اسماعيل بنيت لهم احدى وعشرين مدرسة أخرى بدأت بمدرسة لاهوتية بأسيوط وأخرى لاعداد المعلمات سنة ١٨٦٥ وانتهت بخمس مدارس بأسيوط أيضا سنة ١٨٧٨ ، ولهذا عندما صدر قرار انشاء جامعة الأزهر طالب الأقباط باقامة جامعة تبشيرية مسيحية لهم فى أسيوط .

أيضا مدارس الارساليات الانجيلية والاسكتلندية بدأت بمدرستين فى الأسكندرية سنة ١٨٥٩ وعى مدى ثلاثين عاما كانت تديرها ابنة اسقف دبلن

التى نشطت فى التبشير بين المسلمين ، وفى سنة ١٨٧٠ منــح الخــديوى مؤسسة هذه المدارس قطعة أرض لاقامة مدرسة لهم بالفجالة بالقاهرة وفى سنة ١٨٨٠ قرر مجلس النظار اعانة هذه المؤســـسة بمبلغ (٢٠٠) جنيــه سنويا •

● **نتيجة المدارس الأجنبية :**

كانت هذه المدارس الأجنبية كلها هى التى مهدت للاحتلال الانجليزى لمصر (١٨٨٢ ــ ١٩٥٣) حيث كثرت الجاليات الأجنبية فى مصر ، ووجــد الانجليز الحجة لاحتلال مصر لحماية تلك الأقليات ! ولازالت تلك المدارس الأجنبية فى مصر تمحو هويتها الاسلامية جيلا بعد جيل ، ولازال علية القوم وأغنياؤهم يسارعون لادخال أولادهم فى هذه المدارس التى تمهد لاحتلال أوربى لمصر عن قريب ، ودليلنا أنه يوجد بمصر أكثر ما مليون محل وشركة بها أسماء غير عربية اضطر وزير التموين فى مايو سنة ١٩٨٦ لاصدار قرار بتغيير هذه الأسماء الى عربية بعد ما أصبحت توحى لزائر مصر بأنه فى بلد أوروبى ! هذا بالاضافة للاقتهاد المصرى المتردى •



قضــــية الدين والسياسة

السياسة التعليمية ونظام الحكم

● **السياسة التعليمية دائماً تابعة لنظام الحكم :**

ووزير التعليم أحد رجال السياسة .. وبالتالى فالمنـــاهج تتغير حسب الهوى السياسى ؟ .

فيثبت فى التاريخ أقزام تسلقوا السلطة على اكتاف شعب فقير ، ويمحى من التاريخ أبطال كرام .. ذنبهم أنهم لم يعجبوا الساسة أصحاب السلطة ؟

● **الجذور التاريخية :**

ومنذ أيام الصراع بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى ســفيان على السلطة ومقتل الامام على رضى الله عنه ، وقيام الدولة الأموية على الهوى لا على الحق ، وكانت ملكا عضوضا وراثيا ، أقول من يومها ظهرت السياسة التى نعرفها الآن بوجهها القبيح بما فيها من تنازلات لا يقبلها الاسلام .

فمعاوية يقول : لو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت ان هم شدوها أرخيت وان هم أرخوها شددت .. وهكذا السياسة .. بينه وبين النــاس شعرة .. وليس كتاب الله وسنة رسوله ، وليس عقدا ! لقد كان يشــترى تأييد الناس بالمال ، ويستميلهم اليه بشتى أنواع الاغراء ، ويقرب الى مجلسه أهل النفاق .. ويقتل فى سبيل ملكه كل من يقف فى طريقه (كما قتل أهل بيت رسول الله من نسل على بن أبى طالب) .

ومنذ ذلك الزمان وعلماء المسلمين والأئمة المجتهدون يتكلمون فى مسائل كثيرة فى التفسير والفقه والسيرة والعقيدة ، غير أنهم أقلوا من الحديث فى

مسائل الخلافة وشروط الخليفة وأركان البيعة (الانتخاب) وكيفية اختيار الخليفة ومجلس الشورى والوزراء والأمراء وأهل الحل والعقد وغيرها .. فقد كانت هذه المسائل مهملة ، واذا تحدث فيها البعض تحدثوا خفية ، خوفا من بطش السلاطين الظلمة !

على أن علماء الشيعة لم يجبنوا ، وتمسكوا بالامام كشرط لاقامة الدين والدولة .. فلا اسلام بلا امام عادل يقيم الشريعة للناس .. أما أهل السنة فقد اقتصروا على فقه العبادات والمعاملات والأخلاق .. ومن هنا انفصل الدين عن سياسة الدولة .. وأصبح علم الاسلام نظريا – كالفلسفة مثلا – لا علاقة له بواقع الناس !

وأصبح التمسك بالدين مسألة فردية لا علاقة لها بنظام الناس وقانون البلد .

على أن أظلم حكام الأمويين ومن جاء بعدهم يعتبر تقيا ورعا اذا ما قيس بحكام المسلمين اليوم ! فقد كان أغلبهم من حفظة القرآن ، وكانوا يحرصون على تربية أبنائهم تربية اسلامية ، وكانوا يقيمون الحدود ، ويكرمون أهل العلم ويحفظون لهم قدرهم ما لم يتحدثوا فى أمور الحكم ، وكان بعضهم يحرص على أن يكون اماما للمسلمين يصلى بهم ويخطب فيهم رغم فسقه .

● فماذا بقى لنا من الدين ؟

بقى من الدين « مفتى الجمهورية » وشيخ الأزهر ، ودورهما كبير فى تحديد أوائل الشهور العربية وتهنئة المسلمين بالمواسم السعيدة .

بقى من الدين « الرقص فى موالد الأولياء » ، واحياء الليالى الختامية للأموات تنقلها الاذاعة وبعض المواعظ المملة من قلوب ميتة لا تنبض بصدق هذا الدين .

هذا الدين الذى لا تعرفه بيوت المسلمين العامرة بالغناء يصدح فى جنباتها

ليل نهار ، ولا تعرفه المصالح الحكومية ولا القانون ولا الجيش ولا المدارس الأجنبية والأسماء المستوردة •

دين غريب وسط قوم يحلفون أنهم يؤمنون به •

● السياسة فى مصر :

يتميز شعب مصر منذ فجر التاريخ بأنه شعب مسالم أو قل « جبان » ، ذلول الظهر لكل راكب فقد حكمه الهكسوس ما يزيد على مائتى عام ، ثم كانت امبراطورية الرومان والاسكندر الأكبر والعجيب أنها تعودت علي حكم الغرباء من الأباطرة والبطالمة وغيرهم حتى بعد دخول الاسلام سنة ٢١ هـ •

فهل تتصور أنه منذ دخول الاســلام مصر سنة ٢١ هـ لم يحــكم مصر مصرى واحد طيلة تاريخها حتى قدوم الطاغية جمال عبد الناصر الذى فاق فى تعذيب ابناء مصر الفراعنة القدامى الذى سخروا أبناء مصر لبناء مقابرهم (الأهرامات) وقصورهم •• التى لازالت « وصمة عار » تشهد بظلم الحكام وتسخيرهم للبسطاء ؟ •

فمنذ حكم عمرو بن العــاص مصر فى خلافة عمر بن الخطــاب توالى الولاة الأمويون ثم الولاة العباسيون ، وأكثرهم كان فارسي الأصل مثل : البرمكى سنة ١٧٦ هـ وهرثمة بن أعين سنة ١٧٨ هـ وابنــاج التركى سنــة ٢٣٥ هـ وعنبسة سنة ٢٣٨ هـ ومزاحم بن خاقان ســنة ٢٥٣ هـ ، وباكبــاك التركى ٢٥٤ هـ وابن طولون وخماروية وبن طنج الأخشيد سنة ٣٢٣ هـ •

ثم جاء الخلفاء الفاطميون ثم الأيوبيون ، ثم سلسلة هزلية من الأمــراء المماليك الذين كانوا عبيدا ؟ ! لقد حكم مصر ٤٨ مملوك فى قرابة ٢٧٠ سنة (١٢٥٠ ــ ١٥١٧ م) •

ثم جاءت الخلافة العثمانية (١٥١٧ ــ ١٧٩٨ م) ــ (٩٢٣ ــ ١٢١٢ هـ) وبلغ عدد الولاة العثمانيون على مصر ١٠٩ وال فى زمن قدره ٢٨١ سنة .

ثم جاء الاحتلال الفرنسى على مصر سنة ١٧٩٨ م ، وبعده ثار الشعب المصرى على الوالى العثمانى الظالم ، ولكنهم بدلا من أن يعينوا مصريا عالما مخلصا .. عينوا أحد اللئام الأجانب المسمى بـ محمد على باشا عدو الاسلام واللغة العربية ! الذى حكم مصر قرابة ٤٣ سنة ؟ .

وجعل مصر ملكا له ولأبنائه من بعده حتى قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢! م

فماذا فعلت ثورة يوليو بشعب مصر ؟

وهل تدرس الحقيقة للطلاب فى كتب التاريخ والتربية القومية !

كتب اللواء محمد نجيب أول رئيس جمهورية لمصر فى كتابه « كنت رئيسا لمصر » ما نصه :

لقد طردنا ملكاً وجئنا بثلاثة عشر ملكاً ! !

« كنت أول من أطلق عبارة الضباط الأحرار » على التنظيم السرى الذى أسسه جمال عبد الناصر فى الجيش المصرى ، والآن أعتذر عن هذه التسمية ، فهؤلاء لم يكونوا أحراراً ، وانما كانوا أشرارا وكان أغلبهم ما المنحرفين أخلاقيا واجتماعيا ــ ص ٩١ .

ويقول ص ٢٠٢ « وشخصية عبد الناصر من النوع الذى يتكيف ويتغير حسب الظروف ، فهو مرة مع الشيوعيين (وكان اسمه الحركى موريس) ومرة مع الاخوان المسلمين (وكان اسمه الحركى زغلول عبد الناصر) وعشرات المرات ضد الجميع ومع نفسه .

لقد طردنا ملكا وجئنا بثلاثة عشر ملكا ؟ خلصهم يوسف صديق من نفسه ، وخلصهم ضباط المدفعية من عبد المنعم أمين ، وخلصهم ضباط الفرسان من خالد محى الدين ، وتخلصوا من جمال سالم وصلاح سالم بعد حرب اليمن (التى استنزفت أموال مصر وخربت خزينتها) ثم استبعد كمال الدين

حسين وعبد اللطيف البغدادى ، وعزلوا رشاد مهنا بعد تولية الوصاية على ولى العهد عند طرد الملك فاروق ، وتخلص اليهود من عبد الحكيم عامر وجمال عبد الناصر بعد نكسة ٥ يونيو ، وعندما تنازل عبد الناصر عن السلطة لزكريا محى الدين بعد النكسة (وكانت خطة ماكرة) هاج الشعب المخدوع واستبعد زكريا .. وكانت أقل عقوبة للرئيس المنهزم هى الضرب بالرصاص .

وبقى حسين الشافعى فى بيته ، أما أنور السادات الذى كان يقول على كل شىء « صح » فقد كان ينتظر الفرصة التى جاءت بعد موت عبد الناصر سنة ١٩٧٠ وقد تخلص منه الاسلامبولى ورفاقه فى العرض العسكرى سنة ١٩٨١ .

هذا أسرع عرض لملوك الثورة الأفاضل .. أما ثمارهم المرة فكانت كثيرة منها .

● **انجازات ثورة يوليو :**

لقد جاء الملوك الجدد ، فبقيت قصور الملوك السابقة كما هى ، بل وزيدت عليها استراحات كثيرة فى أنحاء مصر ، وبينما كان يرفل هؤلاء فى ألوان الترف وأنشأوا (دولة الراقصات) التى لعبت دوراً كبيراً فى بقاء حكمهم الخبيث كانوا يدعون الناس الى التقشف وشد حزام البطن .

لقد سببت الثورة نقصا فى كل شىء .. فى المال (أصبحت مصر مدينة بعد أن كانت دائنة) وفى الزراعة وفى الدين والأخلاق ، وفى النخوة والرجولة ، وفى الثقافة والعلم ، وكانت تسير على المثل « جوع كلبك يحتاج اليك » واستخدم سلاح « لقمة العيش » لازلال الناس وارغامهم على الخضوع ، بل كانت تستخدم أسلحة دنيئة من باب « فرق تسد » لبث الفتن حتى يتلصص الناس ويتجسسون على بعضهم وانعدمت الثقة وزاد الجبن ،

بل لقد استخدموا « الاعتداء على العرض والشرف » مما لم يستخدم من قبل فى التعذيب •

● **وهذا ملخص سريع لأهم الانجازات:**

١ ـ فى مجال الزراعة :

عند صدور قانون الاصلاح الزراعى وتحديد الملكية بـ ٢٠٠ فدان كسبت السياسة (حيث ضرب كبار الملاك فلم يبق كبير) وخسرت الزراعة ، فنقص الانتاج الزراعى بسبب تفتيت الملكية (الحيازة الزراعية) ، واعطاء الأرض لحفنة من الفلاحين بلا تعب ! فأهملوها وجرفوها لمصانع الطوب •• وزحفت المبانى على الأرض الخصبة فأكلتها من أطرافها ، وبعد أن كانت مصر بلداً زراعية تصدر القطن والخضر والفاكهة والحبوب لبلاد العالم •• صارت الآن لا زراعية ولا صناعية ، انما تستورد القمح لتأكل ، وأصبحت القرية المنتجة مستهلكة تنتظر الدقيق المستورد بعد أن خربت أجران القمح وصوامع الغلال •

● **أما حركة اصلاح واستصلاح الأراضى ففيها قصور شديد :**

وهذه هى الأرقام :

ففى عام ١٧٩٨ ـ أى عندما غزا نابليون مصر وكان عدد سكانها ٢ر٥ مليون نسمة كانت المساحة المنزرعة على ضفاف النيل ٣ مليون فدان •

ولما قامت الثورة ١٩٥٢ ـ أى بعد ١٥٦ سنة كانت المساحة المنزرعة ٦ مليون فدان وكان عدد السكان ٢٢ مليون (أى تضاعفت مساحة الأرض مرة وتضاعف عدد السكان عشر مرات) • ومع ذلك كنا نصدر المحاصيل الزراعية ولا نستورد •

وبعد سياسة تبوير الأرض (بالتجريف والمبانى وسوء الصرف) تناقصت هذه المساحة المنزرعة الى ٥ر٩ مليون فدان سنة ١٩٨١ ، وبعد محاولات

الاستصلاح بلغت حوالى ٦٫٣ مليون فدان ١٩٨٦ وهى فى طريقها للتناقص لعدة أسباب منها :

١ ـ الزحف العمرانى على الأراضى الزراعية .

٢ ـ قلة المساحة المستصلحة سنويا .

٣ ـ تدهور خصوبة الأراضى المنزرعة .

٤ ـ نقص الكميات التى تصرف من الأسمدة الكيماوية .

٥ ـ تفتيت الحيازة الزراعية والفاقد فى الانتاج الزراعى والحيوانى .

٦ ـ نقص العمالة الزراعية بسبب الهجرة للخارج وانخفاض نسبة العاملين بسبب التعليم .

٢ ـ فى مجال الصناعة :

قامت الصناعة فى مصر على غير تخطيط ، وكان الهدف منها هو الدعاية السياسية التى أدت الى تحول المصانع (القطاع العام) الى خسائر اقتصادية، بدأت فى ١١ فبراير ١٩٥٤ بشركة الحديد والصلب التى لاتزال تخسر كل عام .

وقد كان من المعقول ـ ونحن البلد الزراعى ـ أن نبدأ التصنيع بالتدريج ، فنبدأ بالصناعات الاستهلاكية ثم الوسيطة ثم الثقيلة ، فنبدأ بصناعات النسيج (التى تعتمد على القطن) بدلا من تصدير القطن خاما للخارج ثم استيراده ملابسا وأقمشة .

وكان عندنا محمد طلعب حرب خير مثال بانشائه « بنك مصر » وشركة غزل المحلة التى لا تزال تحقق أرباحا كثيرة ، ولكن بسبب سوء التخطيط أصبح لدينا شركات تخسر ، وبضائع عاجزة عن المنافسة العالمية ، وفى المجتمع الدولى أمثلة رائعة بدأت بعدنا تنافس بضائعها الآن قمة الدول الصناعية مثل الصين واليابان وكوريا وتايوان .

ورغم الخسائر :

فاننا لم نعدم الكذب ، وبسبب ضياع أهل الخبرة ووجود أهل الثقة فان المشروعات الضخمة التى أقيمت فى الستينات كانت بلا تخطيط ، ولا كوادر تديرها ، أى كانت مبانى بلا معانى ، وكانت دعاية للنظام ولم تكن ضرورة اجتماعية ، ووصل التزوير فى بعضها الى حد الاعلان عن انتاجه السنوى دون أن يفتح أصلا ، ووصل التزوير الى نكتة أطلقت فى سماء القاهرة سنة ١٩٦٠ مع اطلاق صواريخ القاهر والظافر (من صنع مصر) ونحن لا نتقن صناعة دبوس الابرة فضلا عن الصاروخ •

حتى مشروع السد العالى الضخم :

فقد كان الجانب السياسى والدعائى فيه أهم من الجانبين الفنى والاقتصادى فقد كانت تنقصه بعض التعديلات الهندسية (كما قال كبار المهندسين) أيضا كان لابد من اقامة المشروعات المكملة له حتى لا نفقد الكثير من المميزات التى كنا نتمتع بها قبل بنائه •

ولهذا جاءت عيوب السد أكثر من مميزاته ، وحرمت الأرض الزراعية من الطمى (الذى ترسب فى البحيرة) والخصوبة ، وكلفنا ذلك الملايين لشراء أسمدة للأرض حتى لا تبور ، وزادت الأفات الزراعية التى صارت تسبب خسارة كبيرة فى المحاصيل كل عام •

المهم أن يعلن عبد الناصر فى افتتاح المرحلة الأولى من السد : « اليوم أصبحنا فى غير حاجة لرحمة السماء » ؟ وبعد حوالى ٣٠ سنة جاءت شركات الاستثمار ــ بعد سياسة الانفتاح الاقتصادى ــ لتعبىء لنا البطاطس فى أكياس •• وكذا المربات والشربات والجيلاتى •

فلو أننا بدأنا بهذه الصناعات الخفيفة ، لأتجه الاستثمار اليوم الى الصناعات الثقيلة •

تقـول الأرقام :

أن المشروعات الصناعية التى حصلت على موافقات (بعد الانفتاح) حتى ٣٠ ــ ٦ ــ ١٩٨٤ بلغت حوالى ٥٢٢ مشروعا لم تتخط نسبة ر٦٦٪ من جملة الانتاج القومى ، وهو انتاج هــزيل اذا علمنا أن نســبة ر١٠٪ من هــذه المشروعات فقط هندسية .

ونسبة ٥٢٪ منها للمياه الغازية والعصائر ، والباقى مشروعات هامشية ليس لها اضافة حقيقية للهيكل الصناعي ! فمثـــلا ٤ر٢٧٪ لصـــناعات البلاستيك ؟

بالاضافة الى استنزاف العملة الحرة وتدهور فى قطاع التصدير ؟

٣ ــ فى مجال السياسة الداخلية :

نجح سليمان حافظ وكيل مجلس الدولة فى اقناع أعضاء الثورة بالغـاء الدستور وحل الأحزاب ، ومن يومها ونحن نتخبط ، فمـــرة « اتحـــاد اشتراكى » ، ومرة « مجلس الأمة » حتى الدستور الذى صدر بعد عشرين سنة ١٩٧١ كان كارثة على مصر ، فأبوابه ليست بينهـا روابط منهجيـــة أو فكرية ، ومواده متناقضة ، فمثلا . المادة الثانية تقول : أن الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع وأن الاسلام هو دين الدولة واللغة العربيـــة هى لغتها الرسمية ، بينما المنطقى أن الشريعة الاسلامية هى المصدر الوحيد للتشريع مادام الاسلام هو دين الدولة .

كما خلا الدستور من علاقة مصر بالأمة الاسلامية .

● وعلى المستوى العربى :

فصلت الثورة السودان عن مصر ، وكان عبد الناصر يعتبر السودان عبئا على مصر برغم ما فيه من موارد .

وبعد أن فتت وحدة وادى النيل .. يحاول البطل المزعوم اقامة وحدة عربية مع سوريا رغم البعد الجغرافى الواضح ! ثم يسب قادة العرب جميعا .. وأنه وحده زعيم الأمة العربية .

● **وكان من رأى محمد نجيب :**

لكى تتم الوحدة العربية فلتبدأ الدول بالغاء تأشيرة الدخول ورفع القيود الجمركية بين الدول العربية ، ثم توحيد مناهج التعليم ، ثم تكوين جيش عربى قوى موحد « مع بقاء جيش لكل بلد » ثم اقامة المشروعات المشتركة .. وهكذا بالتدريج الى أن نصل الى الوحدة الكاملة ولو بعد عشرات السنين .

● **وعلى المستوى العالمى :**

بدأت المهازل باتفاق الفالوجا بين عبد الناصر واليهود أثناء الهدنة فى حرب ١٩٤٨ ، ثم بالتنازلات والحركات المكشوفة على مائدة مفاوضات الجلاء مع الانجليز سنة ١٩٥٤ ، ليثبت للانجليز أنه الرجل الأهم فى مجلس الثورة ، ثم اتصاله بالمخابرات المركزية الأمريكية التى كانت ترسم له الخطط الأمنية، وتدعم حرسه بالسيارات والأسلحة الجديدة ، ثم ارتمائه فى أحضان الروس ليجلب أكثر من ٢٢ ألف خبير سوفيتى الى مصر مقابل السلاح المتخلف ، ومع ذلك يدعى كذبا أنه من دول ــ مجموعة عدم الانحياز ؟ .

من ناحية التخطيط الداخلى : (قضية مترو الأنفاق) :

فى سنة ١٩٥٤ كتب الدكتور سيد عبد الواحد فى جريدة المصرى عن الأزمة الخانقة ــ للمواصلات والمرور اذا لم نسارع بالتخطيط لمواجهتها ، واقترح أن تنفذ الدولة مشروع « مترو الانفاق » وبعد ثلاثين سنة بدأ تنفيذ المشروع فى نفس الشوارع ؟ .

أيامها كان تنفيذ المشروع فى القاهرة معقولا (عدد سكان مصر ٢٢

مليون) أما الآن فالقاهرة وحدها تستوعب ١٢ مليون من مجموع ٥٠ مليون سنة ١٩٨٦ كذلك كانت تكلفة الكيلو متر أيامهــا لا تزيــد عن ٦٥٠ ألف جنيه ، وهى الآن حوالى ٧ ملايين :

وكان الأولى أن توجه هذه التكاليف الباهظة الى بناء مدن اقتصــادية جديدة حول القاهرة ومشروعات انتاجية خاصة ونحن نواجه شــبح الديون الرهيب الذى قفز من ٣٣ مليار دولار سنة ١٩٨٤ الى ٣٨ مليار دولار سنة ١٩٨٥ الى ٤٢٫٥ مليار دولار سنة ١٩٨٦ .

كذلك فان أغلب أحياء القاهرة انتهى عمرها الافتراضى ، وبيوتها آيلة للسقوط وحواريها ضيقة لا تستوعب تغير الحياة وحركة السيارات ، وكان الأولى هدم هذه الأحياء واعادة التخطيط .. كما يحدث فى كل مدن العالم (وكما حدث مع عرب المحمدى وعشش الترجمان فى القاهرة) .

ويضاف الى ســوء التخطيط كثرة التعقيــد والروتين فى الاجــراءات القانونية وتعطيل المصالح ، مما يدفع خيرة المصريين وعلمائهــم الى الهجرة تاركين بلادهم خوفا على أعمارهم أن تضيع بلا فائدة .

كما أن فى مصر ــ فى بعض الأماكن كالاذاعة والتليفزيون مثلا ــ أعلى دخل فى العالم مقابل أقل عمل ! .

من ناحية التعليم والدعوة الاسلامية :

يخطىء البعض عندما يعتقد أن الثورة هى التى جاءت بمجانية التعليم ؟

فقد كان التعليم بالمجان فى مصر منذ دستور ١٩٢٣ ، وكان قبــل ذلك منــذ دخول الاسلام مصر . لكن دخلت الجامعات بنظامها الغــربى .. لتكون امتداداً للمدارس الأجنبية .. حتى تصبح مصر مقاطعة انجليزية أو أمريكية ، والدليل على ذلك أن يصدر الوزير د. ناجى شتلة قراراً ســنة ١٩٨٦ بتغيير أسماء مليون محــل وشركة فى مصر من أســماء أجنبيــة الى عربية ؟

وفى مصر أحياء بأكملها لا تشعر فيها أنك فى بلد عربى ولا تسمع فيها صوت الآذان ؟

والدليل على ما نقول :

أن خريج الجامعة لا يعرف عن دينه أكثر مما يعرفه الأوروبى ! فهـو لا يعرف التلاوة فى المصحف .

● أما الثقافة :

فهى تعنى السينما والمسرح والموسيقى ؟ والنحت والرسم والتصوير .

وممنوع تحويل السينما الى أى مشروع آخر ! . حتى ولو الى مسجد أو مستشفى .

والغناء عندنا له مملكة .. وهو كل شىء فى حياتنا .

الحرب بالغناء والنصر بالغناء والحج بالغناء .. بضاعة هابطة سيطرت على عقول الناس .. وأشرطة مخلة بالآداب لأجهزة التسجيل والفيديو تباع سراً وجهراً ؟ .

ووصل الفسقة الى قمة المجتمع :

الى الشهرة والمجد والمال والمكانة الاجتماعية .

● أما الصحف القومية :

فقد تحول كبار الكتاب الى كتبة .. موظفين .. ومنهم من يأكل على كل الموائد .. يمدح الاشتراكية .. ثم الديمقراطية .. يلعن الأحزاب ثم يمدحهم .. يكتب عن مزايا الشيوعية ثم يعدد أفضليات الرأسمالية وسيطرتها على الحياة المعاصرة . يكتب فى الدين وفى اليوم التالى يمدح المغنى فلان واللاعب فلان والراقصة فلانة ..

ولا مانع من التملق .. عله يصل الى رئاسة التحرير ..

● التلفزيون :

ملتقى العائلات والأقارب ، وهو دولة داخل الدولة ، ما يقدم فيه من أعمال فنية يشترط عدم اشراك المستمع فى التفكير والرأى .. انما يقدم التمثيليات والأفلام وكلها تدور عن الحب والزواج والطلاق والخيانة والمخدرات حواديت زمان والعصابات والاجرام ، أما مشاكلنا الاقتصادية والقضائية والطبية والتعليمية ، وصراعنا الحضارى مع الزبالة والقذارة فهامشية .

● ثمار الظلم :

ساعد الاخوان المسلمين الثورة ، ثم تخلصت منهم الثورة بمسرحية حادث المنشية ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ أثناء الاحتفال بتوقيع اتفاقية الجلاء ، واتهم فيها الاخوان المسلمين بمحاولة قتل عبد الناصر ، واعتقل حوالى ٨٦٧ من قادة الاخوان وخيرة الرجال وشكلت فى أول نوفمبر ١٩٥٤ محكمة الشعب برئاسة جمال سالم وعضوية أنور السادات وحسين الشافعى وحكم فيها بالاعدام على سبعة منهم محمود عبد اللطيف ويوسف طلعت وابراهيم الطيب وهنداوى دوير والشيخ محمد فرغلى وعبد القادر عودة وحسن الهضيبى الذى خفف حكمه الى المؤبد . وكانت هذه الجريمة الشنعاء بداية لعمليات اعتقال واسعة استمرت عدة سنوات ، وفى سنة ١٩٦٥ أصدر عبد الناصر وهو فى الكرملين بروسيا قراره بالقبض على ١٨ ألف مسلم ، فى ليلة واحدة على رأسهم الشهيد سيد قطب (صاحب ظلال القرآن) الذى قضت المحكمة العسكرية بقيادة الدجوى باعدامه .

وكانت نتيجة الظلم فى سنة ١٩٥٤ أن جاء العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ : (انجلترا وفرنسا واسرائيل) .

وكانت نتيجة الظلم فى سنة ١٩٦٥ أن حدثت نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ .

وكانت نتيجة الظلم فى اعتقالات سبتمبر ١٩٨١ أن قتل السادات فى أوج عظمته فى أكتوبر ١٩٨١

فى هذا الجو الكئيب •• تباعد الشباب عن الدين ، وحرصت الأسر على ابعاد أبنائها عن القرآن والفقه والسنة ، وصار الناس يخرجون من دين الله أفواجا (بالظلم) بعد أن كاوا يدخلون فى دين الله أفواجا (بالعدل) ، وهكذا رأينا الشباب الذكى يتجه الى الطب والهندسة والاعلام والفنون والعلوم •• ولا يتركون للكليات الدينية سوى الشباب المحدود قليل •• الفهم •• الى أن صار الدعاة أسوأ ما فى المجتمع •• فهم يختارون من بين الطلبة الفاشلين دراسيا أو ذوى القدرات المحدودة والشخصيات الضعيفة •• بل والمنحرفين أخلاقيا أحيانا •• ولا يعقل أن تسلم القيادة للضعفاء ؟ ! وهكذا انصرف الناس عن الدين الى الدنيا ؟ •

وبعد أن كان الداعية قائداً ومعلما قاضيا واماما وطبيبا وفلكيا ومفسرا يسمع فيطاع ويقتدى به •• وبعد أن كان أشرف المراتب على الاطلاق •• صار الطبيب يشعر أنه أفضل من الداعية •• ؟ والمذيع يشعر أنه أفضل من الشيخ العالم •

مع أنه معروف بالبديهة أن القرآن والفقه والسيرة والحديث أشرف وأرفع وأعلى من الطب والهندسة وسائر العلوم والمعارف والثقافات •

وهكذا صار صحفى المعارضة — مثلا — يستطيع أن يقول ما لا يعرفه خطيب المسجد وما لا يجرؤ الداعية أن يتلفظ به ، فهو يخاف على أولاده من التشرد ووظيفته من الضياع ، ويظن الصحفى — الذى يأكل على كل الموائد — أنه أشرف ممن يحمل كلام الله وأوتى الحكمة ؟

● **يقول محمد نجيب فى نهاية كتابه :**

« لقد قمنا بثورة فاذا بهم يحولونها الى عورة ، قمنا من أجل الناس فاذا بهم يعملون من أجل أنفسهم ، قمنا من أجل رفع مستوى المعيشة فاذا بهم يعملون على خفض كرامة البشر » •

❋ ❋ ❋

قضـــية تعليم البنــات
وسياسة تعليمية جديدة

الاسلام دين أصيل ، يفرض على أتباعه السيادة والعزة وعدم الانقياد أو التبعية والتقليد ، كما يأبى أن يكون عند المسلم فى المرتبة الثانية .

والاسلام يوفر الوقت والجهد للوصول الى الهدف الصحيح لعمــارة الأرض وسعادة الانسان .

ولم تعرف البشرية طيلة تاريخها ــ شريعة أو حضارة أعطت للمـــرأة مثلما أعطاها الاسلام ، فقد حرم الله وأد البنــات ، واعتبرهن رزقاً « يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما » (الشورى : ٤٩ ، ٥٠) .

وأمر الله بحسن تربيتهن على الدين والفضيلة ، وفى الحديث الذى رواه أصحاب السنن : « من رزق بثلاث من البنات فأدبهن وأحسن تربيتهن حتى تزوجن كن له عتقا من النار » .

ومنح الله المرأة حق التعليم وحق اختيار الزوج وحــق التملك وحــق الميراث ، بل والبيعة للامام ، ونهى عن ايذائها أو الاضرار بها ، أو أكل مهرها الذى جعله الله لها فريضة بما استحل منها ، والنصوص فى ذلك كثيرة ، كما أمر الله بالاحسان اليها واكرامها زوجة وابنة واختا وأما وقريبة .

● تحرير المراة لماذا ؟

بيد أن المرأة المسلمة فى هذه الأيام راحت تقلد نساء الغرب فى هتافاتهن وشعاراتهن ، وزجت بنفسها فى عداء مصطنع مع الرجل ، وتناست ــ عن عمد

أو جهل ــ ميراثها الضخم من الحقوق والاكرام ، ولها بعض العذر ، فقد وقعت ضحية طريقة تعليمية عقيمة تسوى بينها وبين الرجل ، نقلها المسلمون بحذافيرها عن الغرب ، فقد ظلمت المرأة وجهلت دينها ووظيفتها في الحياة !

ومع الصحوة الاسلامية المباركة ، وكثرة وسائل الاعلام الاسلامية ، بدأ المسلمون يفكرون في مخزونهم الفكرى وطرقهم التعليمية ، وبدأ المخلصون منهم فى تنقية المناهج من سموم الغرب ، وذلك بعرض ما يدرسونه للطلبة على كتاب الله وسنة رسوله واجماع السلف ، وشاء الله لى أن أشارك بسلسلة من المقالات حول ضرورة تعديل المناهج لتتناسب مع ما تؤمن به : وحتى أذكر أساتذتنا فى الجامعات بدورهم فى حركة التغيير •

❁ بديهيات اسلامية :

وقبل أن أدخل فى صميم ما نحن بصدده ، أضع بين يدى القارىء تلك البديهيات ــ أو الحقائق الاسلامية المتفق عليها ، ولكنها غير مطبقة فى بعض الدول التى تنتسب الى الاسلام :

١ ــ الاسلام يفرض على بناته الحجاب الشرعى وهو الرداء الذى يستر جميع جسد الفتاة بدءاً من سن العاشرة ، فالمسلم لا يرضى لبناته الخروج من البيت الا مستورة الرأس والأطراف ، والحجاب فريضة فرضها الله فى القرآن كما فرض الصلاة والصيام ، ولا توجد فتاة تؤمن بالله تلبس « البنطلون » فى الشارع •

٢ ــ ينهى الاسلام أن تقضى المرأة وقتا طويلا فى غير بيتها ومسجدها ، كما حرم عليها أن تخلع ثيابها فى غير ستر مأمون أو أن تتزين أمام الرجال (من غير محارمها) ، وهناك بعض السفهاء الذين يحرمون نساء المسلمين من المساجد ، ويسمح بخروج البنت الى المدرسة والجامعة والعمل ويخلط بين الصلاة فى المسجد وبين طلب العلم فى المسجد ، كأن الجامعة أشرف من المسجد ؟ •

٣ ــ حرم الاسلام على المرأة السفر دون محرم ولو الى الحج ؛ فالمسلمة اذا سافرت الى التعليم أو العمل أو حتى العلاج فى الخارج دون رجل من محارمها فقد استحلت غضب ربها .

٤ ــ حرم الاسلام على المرأة اظهار زينتها خارج بيتها ، فأدوات « الماكياج » فى حقائب الطالبات شبهة يسأل عنها أولياء الأمور الذين فرطوا فى مراقبة سلوك بناتهن .

٥ ــ الهدف من التعليم ليس مجرد الحصول على « شهادة » تكون بمثابة سلاح فى يد البنت ضد الزمن وضد الرجل الخائن (وهذه عقيدة أكثر الأباء والأمهات) ، انما الهدف من التعليم هو توسعة الادراك والرقى بالنفس لمعرفة الله تبارك وتعالى .

٦ ــ هناك أفكاراً مسمومة يروجها بعض الكتاب ومخرجى الأعمال التمثيلية ، وتضغط هذه الأفكار بقوة على عقول الفتيات ، حيث يجعلون التعليم الحالى للمساواة بالرجل ! ولتكون المرأة حرة فيما تفعل بعد ذلك ؟ وحتى لا نعود لعصر « الحريم » ، أو مجرد « خادمة » للرجل ، ويقولون لها : أن التنازل عن التعليم المختلط (فى الجامعة) معناه تضييع لمكاسب المرأة التى حققتها خلال صراعها الطويل مع الرجل المتسلط عليها ، وهذه الأفكار هى التى تسود غالبية فتيات المسلمات .

● دور العلماء :

وقد كتب الكثير من علماء المسلمين يطالبون بضرورة التغيير حتى تستقيم الحياة وتقل حالات الطلاق فى المحاكم ، فكتب الشيخ سعيد حوى فى كتابه الاسلام :

ينبغى أن يتم تعليم البنات على مرحلتين : تنتهى المرحلة الأولى عند أدنى سن للبلوغ (الخامسة عشرة مثلا) ، وفيها لا تتعلم البنت الا ما له علاقة بكونها امرأة ، تبدأ باللغة العربية وسور القرآن الكريم ، والحساب ،

وشئون البيت من تدبير وطهى وتفصيل وخياطة ونظافة ، ثم شئون الطفل وطريقة التربية الاسلامية ، ثم شئون الزوجية وآدابها ، بحيث تنتهى هذه المرحلة وقد أحسنت البنت قراءة كتاب الله وفهمه وتفسيره ، وحفظت الكثير من الأحاديث وفقه العبادات والسير والأخلاق ، وهذه المرحلة يمكن أن تنتهى عندها الدراسة لحوالى ٧٥ ٪ من البنات ، لأن اعتياد المرأة على الخروج اليومى يؤثر على أنوثتها .

اما المرحلة الثانية :

فلا تكون الا للنابغات منهن ، فى حدود حاجات الأمة لتعليمهن الأشياء الخاصة بالنساء كطب النساء والأطفال ، وتمريض النساء ، وتعليم النساء المواد السابقة ذكرها فى المرحلة الأولى .

ونساء هذه المرحلة يخترن ممن تفوقن فى امتحانات المرحلة الأولى ويرغبن فى التخصص فى جانب من هذه الجوانب للعمل فيها بعد ذلك بالشروط الاسلامية من ستر وحجاب وعدم اختلاط بالرجال وغير ذلك ، على أن تنتهى هذه المرحلة دون العشرين من العمر .

ويضيف الشيخ سعيد حوى :

والمناهج الدراسية للبنات يراعى فيها كيف تكون زوجة صالحة ، وربة بيت صالحة ، أى أن المناهج تنمى عندها الملكات الأنثوية من العفة والحياء والصدق ، والبعد عن مواطن الشبهات الى معانى الشرف والكرامة واعداد الأبطال .

وليس فى الاسلام مكان لامرأة تدرس الحقوق لتعمل « محامية » ولا تدرس الهندسة لتقف بين الرجال ، أو تدرس اللغات لتعمل ترجمانا للأجانب فى الفنادق ، أو تدرس الموسيقى لتصبح عضواً فى فرقة ؟ .

وضيف لاقتراحات الشيخ :

١ ـ أن يكون التعليم فى كلا المرحلتين باختيار المـواد الدراسـية ، وذلك بعد المواد الأساسية كاللغة العربية والقرآن والحسـاب ، كاختيـار الجغرافيا أو التاريخ أو العلوم أو احدى اللغات أو أى مادة أخرى تفيـد المجتمع دون التقيد بعدد المواد •

٢ ـ المواد الاسلامية (فقه وسيرة وقرآن وآداب) لها نصف المجموع •

٣ ـ المواد النسوية : (كاعداد الطفل اسلاميا وأصول الأمومة وواجبات الزوجة والتدبير المنزلى والخياطة وغيرها وهى التى تميز تعليم الاناث عن تعليم الذكور) • تلى المواد الاسلامية فى الأهمية ثم المواد الاختيارية •

٥ ـ تدرس المواد النسوية والمواد الاختيارية من وجهة نظر اسـلامية بعرضها على أصول الدين وحذف ما يتنافى منها مع الدين •

٦ ـ هدف التعليم هو الاعداد السليم وليس « الشهادة » ، وبالتالى لا يؤخر سن زواج البنت الى الخامسـة والعشرين مثـلا ؟ (كما يحـدث لخريجات الجامعة هذه الأيام) •

٧ ـ دور المسجد فى التعليم يتمم دور المدرسة ويكملهما البيت ، فهناك مواد اسلامية يجب أن تدرس فى المسجد وتضاف للمجموع ؛ وذلك لتعـلم آداب المسـجد ودوره فى المجتمـع الاسـلامى ، فهو النـادى والملتقى وهـو محـور الحيـاة كلهـا ، وتتعـلم البنت كيفيـة التعـارف فى الله والتعاون مع زميلاتها على البر والتقوى ، والتزاور لله ؛ والمشاركة فى المشروعات النسائية الجماعية لخدمة الدعوة الاسلامية والمجتمع ، والتأكيد، على ضرورة حضور النساء للجمع والأعياد بالمساجد •

كذلك فالبيت يمثل الجانب التطبيقى لما تتعلمه البنت فى المسجد والمدرسة وخاصة ما يتعلق بشئون الطهى والخياطة وادارة المنزل ، ولهذا يجب دوام الصلة بين البيت والمسجد والمدرسة •

٨ ـ لا تذهب البنت للمدرسة كل يوم ، فلها يومين ـ بالاضافة للجمعة كل أسبوع تقضيها فى البيت ، تطبق فيها مع أمها ما تعلمتــه فى المدرســة ، وتعينها على شئون المنزل ، لتتيح لها فرصة التدريب فى بيت أبيها على كل شيء قبل أن تنتقل الى بيت زوجها ، كما يمكنها ذلك من بر والدتها ، ورد بعض جميلها قبل أن تفارقها .

٩ ـ هذه ملاحظات يمكن الأخذ بها كلها ـ وفيها السعادة ان شــاء الله ، ويمكن الأخذ ببعضها ، ولعلى أكون قد طرقت بابا بعيد المنال ، ولكن لا بعيد على الله ، أدعوه سبحانه أن يوقظ ضمير الأمة الاسلامية ، فتستعيد كيانها واستقلالها فى المناهج والفكر ، والقضية مطروحة أمام أساتذتنا .

فما هى آراؤهم ؟

● عناصر المنهج الاسلامى لأطفال المسلمين :

تغيرت سير الأحداث،واختفى الكتاب من أغلب المدن،وجهلت النساء دين ربهن وخرجن الى الشوارع والطرقات تاركين أطفالهن فى « دور الحضانة » التى كثرت فى هذه الأيام ووصل عددها الى « ألف » حضانة فى مدينــة القاهرة وحدها .

ولقد تعالت الصيحات فى ألأونة الأخيرة تطالب بالاهتــمام بالطفـولة ، وكانت الاحتفالات بأعياد الطفولة فى الأعوام الماضية تشغل الأوساط الرسمية ووسائل الاعلام التى أفردت لذلك برامجا كثيرة ، وتحدث أناس لا شــأن لهم بالطفولة ، طالبوا بأن تكون هناك مكتبات للأطفال ، وأغنيات للاطفال ، ومسرح للاطفال وأفلام للاطفال .. كأنهم يتحدثون عن أطفال فى دولة أخرى غير مصر ، هذا الترف نبحث عنه وآلاف الأطفال لا يجدون ما يسترهم فى مساكن الايواء العاجل (الخيام) ويسكنون المقابر .

وكان الاسلام .. وسط هذه الضجة السياسية والاعلامية غائبا .

ولم يحدثنا أى المسئولين عن شيء مــن آداب النشــأة ، ولا أحاديث الرسول فى تربية الطفل •

فقد تنحى الدين جانبا عن حركة الحياة ؟ •

وكانت القضية الكبرى : من يكتب للطفل ؟ ومن يغنى للطفل ؟ •

واذا عدنا الى الحضانة الاسلامية ، التى تلعب دور الكتاب فى زماننا ، وهى اما ملحقة بالمسجد أو تابعة له ، نجد أنها معدومة الأهداف ، ليست لها برامج محددة (كالمدارس الأجنبية مثلا) والتدريس فيها متروك للاجتهاد الشخصى للمدرسات ، وهن غالبا غير تربويات ، ولا يعرفن شيئا عن الآداب الاسلامية • •أو القواعد الصحية البســيطة للاطفال ، بل ولا يحفظن مــن القرآن الكريم سوى اليسير من قصار السور •

من هنا وضعت كتابى :

« منهج الحضانة الاسلامية » :

الذى يتضمن العناصر الهامة التى ينبغى ادراجها ضمن المنهج ويشمل : القدوة فى حياة الطفل وأثرها ، الناحية الصحية والاشراف اليومى •

طريقة جديدة لتحفيظ القرآن والمراجعة ، الناحيــة الترفيهيــة وأنواع الألعاب وفوائدها ، الناحية التعليمية وملاحظات لتصحيح بعض الأوضاع ، المشاكل النفسية للأطفال وطرق علاجها اسلاميا ، أنواع النمو لدى الأطفال وتعليمات هامة للآباء والمعلمين وبعض عوامل الفساد فى البيوت •

كما اشتمل على أناشيد اسلامية بسيطة وهادفة •

وقد تم تصوير بعض أجزائه ووزعت على عدد من الحضانات الاسلامية بالقاهرة ، وبقى الأمل أن يطبع ويعمم لتكون مع كل مشرفة فصل نسخة منه •• فمن يتطوع بهذا العمل لله ؟ ••

* * *

القضـــية الأخـــيرة

حول مؤتمـــر تطوير التعليم

المؤتمر القـومى لتطوير التعليم الذى عقد بالقـاهرة وانتهى الخميس ١٦ ـ ٧ ـ ١٩٨٧ بعد مناقشـات استمرت نحو ٦٠ سـاعة كاملة شـارك فيها ١٥٠٠ عالم وأستاذ وخبير ، وأصدر نحو ١٥٠ توصية •

تقول الصحف عن هذا المؤتمر الذى عقد تحت رعاية رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ووزير التعليم :

« ان توصيات المؤتمر تقود التعليم المصرى بأكمله الى ثورة شـــاملة يعيد فيها رسم سياساته وبرامجه سعيا نحـو مسـتقبل مشرف لمصر وبنـاء الشخصية المصرية القادرة على مواجهة المسـتقبل واقامة المجتمع المنتـج ، وتحقيق التنمية الشاملة واعداد جيل من العلماء ، انطلاقا من شمولية تطوير التعليم وقوميته وبالنظرة المتكاملة الى جميع عناصره ومراحله •

● ما هى نتائج المؤتمر ؟

تركزت الضجة كلها حول عقدة الثانوية العامة والقبول بالجامعات ، وبعض التوصيات لتطوير التعليم العام والفنى وربط الدراسات العليـا والبحوث بالمجتمع •• سبحان الله •• أليس منا رجل رشيد ؟

التيار الاسلامى الذى اكتسح انتخابات مجلس الشعب والاتجاه الملح لتطبيق الشريعة الاسلامية ، ألم ينتبـه اليه واحد من ١٥٠٠ عالم وخبير ؟؟

ألم يتحرك ضمير واحد منهم لقضايا الأمة الواحدة ومستقبلها المشترك ؟

أكل العقدة فى اضافة سنة دراسية أو الاقتصار على فرصة واحدة للرسوب وبعدها تنصلح المقررات والمشكلات تلقائيا ؟

ألم يكن الأمر فى حاجة لأن يطرح على جميع فئات الشعب وأن تفرغ له صفحات الصحف ليتكامل ولنصل جميعا الى أفضل السبل قبل أن تتخذ القرارات ؟

الحلول الاسلامية لقضية تطوير التعليم :

أولا ــ بناء المدارس المختلفة :

والاسلام يفرض على المؤمنين به التعاون على البر والتقوى والصالح العام ، ويؤيد المصلحة العامة على الخاصة ، ويحذر من السرقة من المال العام ، ويحث المسلمين على بناء المدارس والمستشفيات ــ لوجه الله ــ ويبشرهم بدوام الأجر حتى بعد الممات وفى الحديث الصحيح « اذا مات ابن آدم انقطع عمله من الدنيا الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » والصدقة الجارية التى يستمر نفعها بعد موته تتمثل فى بناء مدرسة أو مسجد أو حتى يغرس شجرة يستظل الناس بظلها ، والعلم الذى ينتفع به غالبا ما يكون فى المدرسة والولد الصالح غالبا ما ينشأ ويتربى على التعاليم الفاضلة فى المدرسة أيضا .

ويوجه الاسلام أموال المسلمين الى الخير ، فأموال الذكاة (اثنين ونصف فى المائة) التى حددت الآية الكريمة الأنواع التى تستحقها « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » .. (التوبة : ٦٠) .

يمكن جمعها كلها فى بناء المدارس والانفاق على التعليم فيها من كتب وأجهزة ومعلمين أو ما تسميه (مجانية التعليم) .

ولو أن الحاج الذى يحرص على أداء الحج كل عام قد اكتفى بالفريضة ثم تبرع بتكاليف الحجة فى بناء مدرسة لكان ذلك أثوب له عند الله .

ان استثمار الأموال فى بناء المدارس الخاصة (اللغات) ..

جريمة فى حق التعليم يجب وقفها فوراً ..

وهو وراء الارتفاع الجنونى فى أسعار المدارس ، مما يرهق الأباء الذين تدفعهم الضرورة لادخال أولادهم هذه المدارس ، وهو وراء ظاهرة « الدروس الخصوصية » بهذا الحجم المخيف حيث نشأت الدروس الخصوصية أولا من تلك المدارس حيث تحسب الكلمات بالساعات والجنيهات . ثم انتقلت منها لبقية المدارس . من هنا يجب تشجيع الناس على بناء المدارس لوجه الله ــ كصدقة جارية ، وعندنا ولله الحمد عناصر طيبه تبرعت بالملايين لبناء المدارس .

ثانياً ــ السياسة التعليمية :

استثمار الطاقات البشرية من عوامل تقدم الأمم ، وتضييع أعمار الطلاب واهدار طاقات الشباب من عوامل التخلف ، وفى العالم حولنا دول كثيرة تستفيد بكل ثانية من وقت ابنائها نذكر على سبيل المثال اليابان وكوريا واسرائيل .

والثورة الحقيقية تكون بالتغيير الجذرى الشامل وليس بتغيير سنة دراسيه أو تغيير شروط القبول .

فمثلا نجد فى اسرائيل :

خبيراً فى الصناعة فى الثامنة عشرة من عمره ؟ فالطالب عندهم فى (الكيوبوتز) يقضى عدد ١٢ ساعة دراسية ، نصفها عملى تدريبى وانتاجى والنصف الثانى نظرى ، اليوم يبدأ من السادسة صباحا ، وفى الثانية عشرة

ظهراً تتبادل المجموعات (التى كانت تدرس نظرى تدرس عملى والعكس) وينتهى اليوم فى السابعة مساء ؟ .

وفى أمريكا ودول أوروبا تسمع عن طالب يدخل الجامعة فى الخامسةعشر من عمره ؟ ونظام الدراسة (كورسات) يمكن الطالب ـ حسب قدراته أن يفهمها فى سنوات أقل بكثير مما نحن عليه .

● التخصص فى التعليم من البداية :

والذى نراه قريبا الى الواقع والى الحاجة الحقيقيـة للمجتمـع هـو التخصص فى التعليم من البداية كالآتى :

١ ـ يبدأ التعليم من سن ٥ سـنوات الى سن ٨ سـنوات (التعليـم الالزامى) ويقضى فيه التلميذ عشر سنوات كاملة تقسم الى مرحلتين :

الابتدائية والاعدادية وعندها ينتهى دور الدولة (أى تنتهى المجانية).

٢ ـ المرحلة الابتدائية (خمس سنوات مثلا) يدرس التلميذ الأساسيات (اللغة العربية والحساب والقرآن ومبادىء العلوم والجغرافيا والتـاريخ) ويختار فى نهايتها نوع التعليم التخصصى .

٣ـ فى المرحلة الاعدادية (الخمس سنوات الباقية) .

وفيها يتخصص التلميذ فى أى نوع يحبه من التعليم ويختار (حسـب قدراته الذاتية) (الزراعى ـ الصناعى ـ التجارى ـ الفنى ـ والعام) .

وهذه المرحلة كافية لاعداد عامل ماهر مثقف .

٤ ـ يمكن أن تنتهى عند نهاية المرحلة الاعدادية (آى بعد عشر سنوات من الدراسة) المجانية والالزام فى لتعليم ، ولا يسمح بالتكملة فى لجامعـة

الا للمتفوقين فقط ، ومن أراد من غير المتفوقين أن يكمل تعليمه الجامعى فبمصروفات تتناسب مع المجموع الكلى لدرجات الحاصل عليها) •

٥ ـ يطبق على المرحلة الاعدادية (الانتاجية) نظام اليوم الدراسى الكامل (١٢ ساعة) بحيث تتناول الدراسة النظرية مع الدراسة العملية التدريبية ثم الانتاجية •

٦ ـ لن توجد ـ فى هذا النظام ـ مشكلة الثانوية العامة ، كما لن توجد مشكلة الالتحاق بالجامعات ، لأنه سيتاح للمتفوقين فى التعليم الصناعى دخول كليات الهندسة والتكنولوجيا ، كما سيتاح للمتفوقين فى التعليم التجارى الالتحاق بكليات التجارة والاقتصاد ، وكذلك التعليم الزراعى لدخول كليات الزراعة . وهكذا ارتبط التعليم المتوسط بالجامعات منذ البداية ، أما كليات العلوم والطب واللغات وغيرها فتقتصر على طلاب الشعبة العامة (للراغبين فى استمرار البحث العلمى) ، والذين لهم مواهب متعددة •

ثالثاً ـ من ناحية المناهج الدراسية :

١ ـ المناهج الدراسية للبنات يراجع (السياسة التعليمية ـ للبنات) •

٢ ـ يجب أن تكون اللغات الأردية والباكستانية والأندونيسية الى جانب اللغات الانجليزية والفرنسية ، يختار الطالب منها ما يريد (فى المرحلة الاعدادية) وذلك لامكان الترابط والاتصال بالشعوب الاسلامية ، ولتقليل التبعية للغرب وأمريكا •

٣ ـ ضرورة دراسة جغرافية الدول الاسلامية (قبل الدول الأوروبية) مثل أندونسيا وباكستان وغيرها ، كذا الأقليات المسلمة فى روسيا والهند والصين حتى يتعرف الطالب على أحوال المسلمين فى العالم •

٤ ـ ضرورة تبسيط العلوم الدينية للنشء للترغيب فى الدين ، ولتوحيد

صفوف الأمة ، وللقضاء على ما يسمى بـ « التطرف الدينى » (راجع البحث داخل الكتاب) .

٥ ـ ضرورة تدريس المناهج فى الكليات من منظور اسلامى (التجارة والاعلام والتربية والعلوم والطب والهندسة ..) واستبعاد ما يخالف الشريعة منها .

(راجع الأبواب التالية فى الكتاب حول أسلمة العلوم والمناهج) .

* * *

القضـــية الاقتصـــادية

المستقبل الاقتصادى وكارثة الدين

● ماذا يعرف طلاب الاقتصاد المسلمون
عن امـكانية حل مشـاكلهم بشريعة
الاسلام ؟ ! ..

حدود وامكانات الدول العربية :

فى الوطن العربى ٢٢ دولة تشغل مساحة كلية حوالى ٠٠٠ر٧٧١ر١٣ كيلو مترا مربعا ، ويحتل المركز الرابع من حيث المساحة فى العـالم بعد الصـين والهند والاتحاد السوفييتى ، ولكن ثلثى هذه المساحة صحراء ، وهو جزء من العالم الثالث ، ويطلق على دولة الدول النامية ، وينتمى لمجموعة الـ ٧٧ ، وجميعها أعضاء فى حركة عدم الانحياز .

وتمثل المساحة المنزرعة حوالى ١٦ ٪ فقط من هـذه الأراضى ، يروى ٢٥ ٪ منها ريا دائما يسمح بأكثر من محصول فى السنة ، بينما ٧٥ ٪ منهـا تقوم على مياه المطر ولا يزرع فيها سوى محصول واحد فى السنة .

ويطلق البنك الدولى على عمان وليبيا والسعودية والكويت والامارات مجموعة الدول الخمس الغنية المصدرة للبترول ذات الدخل العالى ، ومتوسط دخل الفرد فيها يزيد على مثيله فى الـ ١٨ دولة الصناعية الكبرى .

[حوالى ١٢٣٠٠ دولار فى العربية مقابل ١١٦٠٠ دولار فى الصـناعية خلال ١٩٨٣] وبقية الدول العربية فقيرة ، اذ ينخفض دخل الفرد فيها عـن ٥٠ ٪ من متوسط دخل الفرد فى أسبانيا (وهى يقل متوسط دخل للفرد فى المجموعة الصناعية) .

الوضع الراهن للدول العربية :

بلغ عدد السكان فى الوطن العربى سنة ١٩٨٥ حوالى ١٩٣٫٧ مليون نسمة ، ولهم مفارقات عجيبة ، فبينما كان نصيب دول الخليج وليبيا ٢٤٫٣٪ من الناتج المحلى العربى سنة ١٩٦٠ ارتفع الى ٥٦٫٦٪ عام ١٩٨٣ ، وانخفض نصيب مصر والأردن ولبنان والمغرب وسوريا وتونس من ٤٢٫٣٪ سنة ١٩٦٠ الى ٢٠٫٩٪ عام ١٩٨٣ .

وبينما كانت مصر تحتل المركز الأول من الناتج المحلى العربى سنة ١٩٦٠ بانتاج نسبته ١٩٫٦ ٪ انخفض عام ١٩٨٣ الى ٨٫٧٪ فقط !

وارتفع نصيب السعودية التى صارت تحتل المركز الأول من ٨٫٤٪ عام ١٩٦٠ الى ٣٠٫٣٪ عام ١٩٨٣ ، وحققت الاكتفاء الذاتى فى الحبوب الغذائية .

ومن المفارقات ايضاً :

١ ــ متوسط دخل الفرد فى الصومال سنة ١٩٨٣ حوالى ٢٥٠ دولار فقط بينما بلغ ٢٢٨٧٠ دولار فى دولة الامارات ؟ ! (سنويا) .

٢ ــ عدد سكان مصر حوالى ٥٠ مليون بينما فى قطر ٠٫٣ مليون فقط !

٣ ــ مساحة البحرين حوالى ١٠٠٠ كم٢ بينما مساحة السودان ٢٫٥٠٦٫٠٠٠ كيلو من الأمتار المربعة .

فرض الاستعمار على البلاد العربية تنمية مشوهة موجهة للخارج ومعتمدة على الغرب وأمريكا كان من نتيجتها التبعية والتأخر فى ميادين كثيرة ، فمثلا :

قفزت الديون الخارجية للدول العربية الـ ١٧ المدينة من ١٠٫٥ بليون دولار سنة ١٩٧٤ الى حوالى ٨٢٫٥ بليون عام ١٩٨٤ (عدا الديون العسكرية) .

ومن الأهمية أن نعرف : أن بعض هذه القروض عبارة عن أموال عربية مودعة فى بنوك غربية ؟ !

أى أن العرب يقترضون الأموال العربية من طرف ثالث بتكلفة اقتصادية وسياسية واجتماعية أعلى ؟ !

فقد بلغت الأرصدة العربية فى الخارج سنة ١٩٨٣ حوالى ٤٠٠ بليون دولار منها ٨٠ ٪ أودعت فى دول منظمة التعاون الاقتصادى ، و ١٤ ٪ منها فى العالم الثالث بما فيها الدول العربية ، و ٦ ٪ فى المؤسسات المالية الدولية ؟ •

كذلك دفع النظام الرأسمالى أوروبا الى « فتح » العالم كله ، وتميزت الصناعة الحديثة بسمتين :

١ ــ شهية شرهة للطاقة والمواد الأولية (تشتريها من كل دول العالم) •

٢ ــ شهية لا حدود لها للأسواق •

وكان الاستعمار الفكرى والاعلامى هو الوسيلة لضمان كليهما ، وهكذا أصبح العالم كله سوقا للرأسمالية تشترى منه وتبيع له •

● سياسات خبيثة :

اولا فى الغــذاء :

زاد العجز الغذائى فى القمح فى الوطن العربى من ٥٧ ٪ (فى الفترة من ٧٥ ــ ١٩٧٩) الى ٦٦ ٪ (من ٨٠ ــ ١٩٨٤) •

أى زادت واردات الوطن العربى من القمح من ٤٫٨ مليون طن عام ١٩٧٠ الى ١٩٫٩ مليون طن سنة ١٩٨٣ أى بزيادة قدرها ٣١٤ ٪ فى مدى ١٢ عام•

والسبب فى ذلك : المعونات الأمريكية التى تقبلها بعض الأنظمة العربية دون غضاضة وتهمل انتاجها الذاتى ، لأن القمح سلعة سياسية تستغلها أمريكا

(التى تمتلك أكبر فائض منه) فى ضوء الاعتبارات السياسية ، وبالرغم من ذلك لم تتخذ الدول العربية موقفا جماعيا ازاء القمح (كما فعلت الهند والسعودية) •

ثانياً فى التسليح :

أعلى نسبة لواردات الأسلحة فى مناطق العالم الأن فى ايران واسرائيل والدول العربية ، فقد بلغ نصيب الشرق الأوسط من التسليح العالمى ٤٣٫١٪ سنة ١٩٦٧ ، ٥٠٫٩٪ سنة ١٩٧٤ •

وأعلى متوسط لنصيب الفرد من الاتفاق العسكرى فى العالم عام ١٩٧٩ كان فى السعودية ١٨٣٧ دولار يليها اسرائيل ١٤٦٤ دولار (سنويا) •

وبعد هذه الأرقام التى تدل على تدهور الاقتصاد العربى نتيجة لتفككه وانقسامه ما هو المستقبل الاقتصادى الذى يراه الخبراء ؟

وكيف تواجه الدول المدينة مصيرها وهى عاجزة عن مجرد سداد فوائد الديون ؟

أولا ــ حلول خبراء الاقتصاد للبلاد المدينة لسداد ديونها :

أن تتقدم الحكومة ببرنامج صارم للتقشف يهدف الى ترشيد استخدامات النقد الأجنبى فى ضوء تخطيط دقيق للتجارة الخارجية ، وذلك بالضغط الصارم على الواردات الكمالية وغير الضرورية ، وأن يكون القرض الخارجى للاسهام فقط فى خلق وتوسيع الطاقات الانتاجية (وهذا أفضل الحلول) •

٢ ــ الالتزام بسداد الأقساط والفوائد فى مواعيدها ، وفى هذا خطورة لسداد القروض بمزيد من الاقتراض (لارتفاع نسبة الفائدة الربوية على الديون) •

٣ ـ الدخول فى مفاوضات جديدة لاعادة جدولة الديون ، وهنا لابد من الاذعان للشروط والمطالب التى يفرضها الدائنون ، وهذا أسوأ الحلول •

وقد قامت حوالى ٢٢ دولة بهذا خلال عام ١٩٨٢ •

٤ ـ أن تتوقف عن سداد فوائد الديون ، وفى هذا مخالفة لشروط عقد الدين ، يؤثر على البلاد فيما بعد اذا احتاجت للاقتراض ، وقد يؤدى لأن يعلن الدائنون افلاس المدين ، والحجز على أمواله وطائراته وسفنه لبيعها للوفاء بالدين •

هذه حلول فردية :

فكيف بالدول العربية التى تنتمى الى أمة واحدة ، يربطها دين واحد يفرض على أتباعه التكافل والتضامن فيما بينهم ؟ •

والأرقام التى عرضناها تشير الى وجود دول غنية لها أرصدة كبيرة فى بنوك غربية ودول أخرى عربية تقترض هذه الأموال مرة أخرى ؟

ومعروف أن فخ الاستدانة الخارجية الذى وقعت فيه دولة مثل مصر فى السبعينات كان بسبب القطيعة العربية وانقطاع المساعدات العربية لمصر بسبب معاهدة كامب دافيد ؟ •

ومن الحق أن نذكر أن معونات الدول الخمس الغنية لشقيقاتها الفقيرة (باستثناء مصر) بلغت سنة ١٩٨٥ حوالى ٣٥ر٨ بليون دولار ، وهذه المعونات هى الوحيدة من شكلها فى العالم ، فهى معونات أخوية غير مشروطة (عكس المعونات الأمريكية) كما أنها فاقت كل مساعدات العالم الثالث •

الحلول الاسلامية :

والآن هل يمكن لشريعة الاسلام أن تنقذ المتمسكين بها من كارثة الاستدانة ؟ وهل هناك حلولا اسلامية لا يفطن اليها علماء الاقتصاد ؟

أولا : التوقف فوراً عن سداد الفوائد الربوية للديون والا فلن نستطيع سداد أصل الدين أبداً .

لأن العلاج الصحيح يجب أن يكون مبنيا على اصـلاح أسباب التلف حتى لا تتكرر ومعروف أن البلاد المدينة بها طاقات كثيرة مهدرة ، وسياسات تدفع الى مزيد من الاستدانة بسبب الرشاوى التى تدفعهـا الدول الغنيـة لبعض المسئولين فيها لقبول مزيد من القروض ؟ .. فمثلا بلغت ديون مصر فى نهاية عهد عبد الناصر ١ر٦ بليون دولار .

قفزت فى نهاية عهد السادات الى ٨ر٣٠ بليـون دولار بسبب سـياسة الانفتاح الغير منضبط :

وصلت سنة ١٩٨٤ الى ٣٣ بليون دولار .

وفى سنة ١٩٨٥ الى ٣٨ بليون دولار .

وفى سنة ١٩٨٦ الى ٤٢ بليون دولار .

(حسب تقارير البنك الدولى) :

وبالرغم من هذه الأرقام المخيفة من الديون ، فانه يوجد فى مصر حوالى ٧٥٠ ألف مليونير ، أغلبهم يتهرب من الضرائب ، وقد كونوا هذه الثروات من الحرام .

فهل يعقل أن يكون هناك بلد فقير مدين وبه كل هذا العدد من الأغنياء ؟ من هذه الحقيقة نستنتج أول عـلاج وهو تطبيق مبـدأ « من أين لك هذا » ؟ .

وهو مبدأ اسلامى أصيل طبقه النبى صلى الله عليه وسلم على من بعثه ليجمع الصدقات عندما زاد ماله ، وطبقـه عمر بن الخطاب على الأمـراء ،

فكان يعزل كل من يزيد ماله أثناء امارته ثم يسحب منه الزيادة من المال ليضعها فى بيت المال .

ويمكننا تطبيقه اجباريا على « مليونيرات الحرام » من تجار المخدرات وتجار العملة الأجنبية ورؤساء الشركات العامة الخاسرة (التى تختلس أموالها) والمهربين وغيرهم والذين يرتعون فى ظل قانون غربى كثير التعقيد طويل الاجراءات .

ومادام الوضع كذلك ، فيجب على كل مسلم عدم التعامل مع كل من يشك فى ثروته بل ومواجهتهم والتضييق عليهم .

٢ ـ تحصيل الزكاة اجباريا ، وقد فرضها الله سبحانه فى كتابه الكريم : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا ، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا » ..
(المزمل الآية الأخيرة)

وعدها النبى صلى الله عليه وسلم من أركان الدين فى حديثه الصحيح « بنى الاسلام على خمس » .. ولقد قاتل أبو بكر مانعى الزكاة فى حروب الردة وقال : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة » .

والزكاة قيمة ثابتة على الأموال مقدارها ٢٫٥٪ بشرطين : مرور الحول (أى سنة كاملة) وبلوغ النصاب (أى ما يقدر بحوالى مائتى درهم فضة حسب سعر البلد وسعر العملة) .

فمثلا فى مصر اذا قلنا أن فيها ٧٥٠ ألف مليونير ، متوسط الواحد ١٠ مليون جنيه يكون قيمة الزكاة السنوية المجموعة منهم ٧٥٠٠٠٠ × ١٠٠٠٠٠٠٠ × $\frac{٢٥}{١٠٠٠}$ = ١٨٧٥٠٠٠٠٠٠٠ وهو رقم كبير يكفى لسداد ديون مصر كلها فى عام واحد ، دون الحاجة للذلة واراقة ماء الوجه بطلب المعونات الأمريكية ؟ .

(زكاة المليون السنوية ٢٥ ألف) .

٣ ـ تعاون المسلمين وتعاملهم مع المجموعات الاقتصادية الاسلامية ، كبديل اسلامى للبنوك الربوية بما يضمن استقامتها على الشرع الحنيف والعمل الصالح والربح الحلال وهذا من شأنه القضاء على البنوك الربوية يهودية الأصل التى تتلقى أموال المسلمين وتحولها للاستثمار فى الدول الغربية ؟

وهذا واجب كل مسلم ، فان تعامل المسلمين بالربا جلب على بلادهم الخراب والاستدانة كما قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » (البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩) .

٤ ـ تستفيد الدولة من هذه الأموال ـ اضافة الى أموال الضرائب وموارد الدولة الأخرى فتبنى المرافق الضرورية فى الصحارى (مياه وكهرباء وصرف صحى وتليفونات ومستشفيات ومدارس وغيرها) .. ثم نقسم الأراضى هندسياً وتوزع على شبابها الأرض بحيث يبنى بعضها ويزرع الباقى (حسب التخطيط الهندسى الدقيق) بالخضر والفاكهة الممكنة .

٥ ـ الأراضى الزراعية الخصبة تخصص للمحاصيل الكبرى (كالقمح والقطن والأرز وغيرها حتى لا تستورد الدولة القمح ولا تخضع لشروط القروض والمعونات) .

٦ ـ يتحول التعليم الفنى (الزراعى والصناعى والتجارى) الى تعليم انتاجى هادف بحيث تستغل جميع الطاقات العاطلة لشباب الأمة التى تستثمر فى اللهو واللعب (وهو تخطيط استعمارى) . وقد سبقتنا اسرائيل وكوريا ودول كثيرة .

٧ ـ يشجع القادرين على مزيد من العطاء (بعد دفع الزكاة والضرائب)

والحمد لله فهناك من يتبرع بالملايين (صدقات) ، ويتم هذا عن طريق الاعلام ، الذى يبث الحماسة فى القلوب للعمل والانتاج الحقيقى (وليس انتاج الأغانى) وهذا يستلزم وجود برامج منوعة توضح :

ــ ثواب الزكاة لفاعلها وفوائدها الكثيرة على الفرد والمجتمع .

ــ عقاب تارك الزكاة (أو المتهرب منها) .. فالله تبارك وتعالى يسلط على البخيل الأفات والأمراض واللصوص الذين يسرقون ما جمع من حرام ، أو ينتقل ماله الى ورثته بالموت رغم أنفه .

ــ توضيح خرائط توزيع الأراضى الجديدة ، والارشادات الهامة للشباب لكيفية استغلال الأرض . وكيفية الحصول على قروض البناء .. وآلات رفع المياة الجوفية وغير ذلك .

ــ عرض نماذج من الشركات الناجحة وادارتها ونوعية المشروعات التى لا تحتاج اليها البلاد .

ــ عرض لنماذج الدول الناجحة فى العالم بالنسبة للتعليم الانتاجى وغيره كاليابان وكوريا واسرائيل وغيرها .

ــ كيفية تحويل البيوت الى انتاجية بدلا من كونها استهلاكية فقط ، وذلك بالتشجيع عى تربية الطيور والحيوانات وعرض التسهيلات ، وزراعة مساحات حول البيوت فى التخطيطات الجديدة ، ومشروعات الأسر المنتجة من خياطة ونسج ومنتجات غذائية وغيرها .

٨ ــ تعود النساء لمملكتها فى البيوت ، لتوحيد الجهود ، لنقضى على البطالة المقنعة فى المكاتب والمصالح والشركات الخاسرة ، لتفسح العمل أمام الرجال الذين لا يجدون عملا ، وتفتح البرامج عقلها على آفاق جديدة للفكر والانتاج بما يتناسب مع قدراتها كامرأة .

٩ ــ أما على المستوى العالمى :

فيجب على قيادات الدول المدينة (وعلى رأسها مصر) أن تنتظم وتتحد لتجبر الدول الدائنة عن طريق المفاوضات الى تخفيف الديون والغاء أجزاء منها • وتقليل نسبة الفائدة حتى تنعدم • كما يجب أن تنسحب الدول المدينة من فخ الاستدانة من الغرب وأمريكا والاتجاه الى الدول الشقيقة ؛ وهذا يعنى ضرورة اتحاد العرب قبل الضياع •

هذا والأمر جد خطير •• ولابد لنا من تعاون وفتح ساحة الحوار لهذا الموضوع للوصول لأفضل السبل للعلاج وبالله التوفيق •

ويمكن تلخيص أهم الحلول للخروج من الأزمة الاقتصادية كما يلى :

١ ــ الرجوع الى الله بتوبة شاملة ــ يعلنها الحاكم ــ ويصدقها التطبيق التدريجى لنصوص الشريعة الاسلامية فى مختلف المجالات •

٢ ــ الغاء التعامل بالربا (النظام المصرفى الربوى) فى جميع الأماكن ؛ وهذا سيؤدى لحلول بركة الرحمن بدلا من حربه كما قال سبحانه :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين• فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » (البقرة ٢٧٨ ، ٢٧٩) •

٣ ــ توظيف الأموال فى المشروعات النافعة بدلا من تهريبها للخارج ، أو تخزينها أو وضعها فى مشاريع فاسدة للمعصية والترف •

٤ ــ تعيين الرجال الصالحين فى الأماكن اللائقة بهم واستبعاد أهل النفاق •

٥ ــ الاعلام الاسلامى الشامل ، الذى يحرص فى جميع وسائله على الفضيلة والخوف من الله وفعل الخير والصدق ، والتعاون على البر والتقوى ومحاربة الفساد •

٦ ــ اعادة بيت مال المسلمين وتحصيل الزكاة من الأغنياء اجباريا مع مراجعة جميع الموارد والمخارج الشرعية للأموال ، (يجمع المال من حلال وينفق في حلال) .

٧ ــ محاربة الاسراف والترف فى جميع صورة ، وبرامج مكثفة لتعليم الناس الاستخدام الأمثل للأشياء (ترشيد الاستهلاك) وتكرر هذه البرامج حتى يتعود الناس التدبير مع ابراز القدوة فى كل مجال .

٨ ــ العمل على الاكتفاء الذاتى من جميع السلع حتى نستغنى تماما عن الدول الكافرة .

٩ ــ انشاء سوق اسلامية مشتركة والعمل على رعايتها وتطويرها .

١٠ ــ آسلمة مناهج التعليم كلها ، فلا يقتنع بهذه المبادىء الا من تربوا عليها أى لتربية المجتمع على الفضيلة .

* * *

الباب الثانى

حول التدريس فى بعض الكليات

١ ـ نحو اسلمة المناهج الدراسية المعاصرة ـ تجربة الأزهر
٢ ـ حول تدريس الطب واحياء التراث الاسلامى ..
٣ ـ حول تدريس علم الطفيليات من منظور اسلامى ..
٤ ـ حول تدريس علوم البحار من منظور اسلامى ..
٥ ـ حول تدريس علم التطور من منظور اسلامى ..
٦ ـ مواد دراسية مشوهة ..
٧ ـ حول تدريس التجارة والاقتصاد من منظور اسلامى
٨ ـ حول التدريس فى كليات الحقوق ..
٩ ـ حول التدريس فى كليات الهندسة ..
١٠ـ قضية الألقاب الجامعية ..

تطـــوير التعليـــم الأزهـــرى
ومحـــاولة لعـــلاج الفشـــل

شهدت البشرية فى فترات من تاريخها الوضاء ــ أيام المجد الاسلامى ــ نوراً يصبغ المعارف كلها ، ويوجهها لتوحيـــد الله ولخـــدمة البشر ، فكانت الصبغة الاسلامية تظهر فى العلوم كلها لتلتقى فى النهاية لرقى الانسان وبرع من علماء المسلمين الكثير ، كان منهم أئمة جمعوا بين التفسير والفقه والطب والفلك والرياضيات ، أى أنهم كانوا يدرسون الكيميـاء والطب والضـوء والبصريات وسائر العلوم من منظور اسلامى .

ولما كان العصر العباسى :

العصر الذهبى للعلم ــ وبدأت حركة الترجمة من علوم اليونان ، وكان أكثر الترجمة من اللغتين الاغريقية والفارسية الى العربية فى القصص والطب والفلسفة ، دخلت الى الدين فلسفات عجيبة ، انهم أصحابها أولا بالزندقة ، ثم ظهرت محاولات لصبغها بالصـبغة الاسـلامية ، فظهـرت « الفلسـفة الاسلامية » على يد أبى حامد الغزالى ، وكانت حربا بين فقهاء المسلمين بين مؤيد ومعارض وقد حذر كثير من العلمـاء من سـموم الشرك ووسـاوس الشياطين فى ثنايا الفلسفة هذه .

الفجوة المفتعلة بين العلوم والدين :

وكان الاستعمار الثقافى الذى جثم على صدر الشرق المسلم زمن طويل وراء هذا الفعل ، وظهرت شعارات رددها بعض المسلمين دون وعى مثـل : العلم للعلم والعلم المحايد وأن العلم لا وطن له ، وان لغة العلم واحدة فى العالم حتى التبس الأمر على طلاب المسلمين ، وبدأت سموم الغرب تسرى

أولا في العلوم الانسانية ، ثم العلوم الدينية على يد المستشرقين ثم أخيراً في العلوم الكونية ، مما استوجب الافاقة قبل فوات الأوان ومراجعة كافة العلوم والكتب والمناهج التي تدرس للطلاب المسلمين •

الله حافظ دينه الى قيام الساعة وقال :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » •• (الحجر : ٨) وبث في قلوب من أحبهم روح الحماسة للدفاع عنه كما أخبر بذلك رسول الله بقوله « يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الضالين وانتحال المبطلين » (رواه الطبراني) وقال أيضا فيما رواه أبو داود : « ان الله يبعث لهذه على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » • وكانت محاولات احياء كتب التراث العلمية ، واعادة طبعها وتنقيحها مما شابها من زيادات ، والتعليق عليها ، وهو ما تنادى به المؤتمرات العلمية الأخيرة ، حيث ناشدت الجامعة والأساتذة المسلمين أن تكون رسائلهم العلمية (الماجستير والدكتوراه) في احياء التراث العلمي والطبي في شتى الفروع ، ولدينا من المراجع العلمية ما كانت أوروبا تعتمد عليه في جامعاتها الى نهاية القرن الثامن عشر •

وهذه التجربة قامت في مصر بحجة « تطوير الأزهر » وتحويل الجامع الأزهر العتيق الى « جامعة أزهرية » ، وكان الجامع الأزهر قد أنشىء في قاهرة المعز لدين الله الفاطمي ، وافتتح للصلاة يوم الجمعة السابع من رمضان سنة ٣٦١ هـ وكان نظام التعليم فيه كالآتي :

١ ــ كان هناك أستاذاً أكبر للمادة يشرف على من دونه ، وهؤلاء كانوا يحرصون على ملازمة أستاذهم (شيخهم) حتى الممات •

٢ ــ يحدد الامتحان حسب رغبة الطالب ، فاذا آنس في نفسه القدرة على التصدي للتدريس أو الافتاء طلب لشيخه أن يجيزه فتعقد لجنة الامتحان •

٣ ـ للطالب منتهى الحرية فى اختيار المادة واختيار الأستاذ (لوجود اكثر من حلقة وأكثر من أستاذ فى المادة الواحدة ، وله الحرية فى الحضور

٤ ـ يصح أن ينجح الطالب فى مادة ويرجأ فى أخرى ، ومن ثم فهو يقوم بتدريس الأولى وهو لا يزال تلميذا فى الثانية .

٥ ـ يفتتح الشيخ درسه بالتوجه الى الله يستلهمه العون والتوفيق ، باسم الله والصلاة على رسول الله ، ثم يرشد الى المصادر التى رجع اليها فى درسه ، وينسب كل رأى الى قائله .

٦ ـ كانت هناك صلة روحية قوية تربط الشيخ بطلابه ، فهو والد وهم أبناء .

٧ ـ كان الأزهر يغذى الجوامع الأخرى بالأساتذة ، لأن الدراسة فيه تؤهل الطالب للتدريس أو الافتاء أو الامامة والخطابة .

تجربة معاصرة لربط العلم بالدين :

كان الأزهر قبل التطوير سنة ١٩٦١ مشتملا على ثلاث كليات منذ سنة ١٩٣٠ م وهى : كليات الشريعة وأصول الدين واللغة العربية ، ثم أضيف اليها الكليات العملية والنظرية الأخرى للأزهر لتخريج العالم المسلم والطبيب المسلم والمهندس المسلم .

بدأت هذه الكليات بكلية التجارة وكلية البنات سنة ١٩٦١ ثم الهندسة والطب والصيدلة سنة ١٩٦٤ والزراعة والتربية والعلوم سنة ١٩٦٦ وطب الأسنان سنة ١٩٧٣ (١) .

لكن يؤخذ على تجربة :

تطور الأزهر هذه مآخذ أدت الى فشل التجربة ، وأصبح من الضرورى البحث عن بديل .

---

(١) الأزهر جامعا وجامعة . محمد كمال السيد ـ القاهرة ١٩٨٦ م

من هذه المآخذ :

١ ــ انها فصلت المواد الشرعية عن المواد العلمية التى أدعى الأساتذة أن هذه العلوم « الطبية والكيميائية » من العلوم المحايدة •

٢ ــ استعانت الجامعة لتدريس المواد العلمية بأساتذة تخرجوا من جامعات الغرب ، وهم يدينون بالولاء للخارج وليس للاسلام ، ولم يهتموا بالصبغة الاسلامية ، وكانت الفجوة الكبيرة الموجودة الآن بين العلوم الدينية والعلوم الغربية •

٣ ــ المواد الاسلامية التى تدرس على جميع الكليات موحدة ، وكان الأولى أن يدرس طلاب التجارة البيوع الاسلامية وفقه المعاملات المناظر مع النظم المعاصرة ، وأن يدرس طلاب العلوم الآيات الكونية والاعجاز العلمى فى القرآن والسنة ، وأن يدرس طلاب الهندسة تميز العمارة الاسلامية وخصائص المدن الاسلامية وأصول التخطيط الاسلامى وعيوب المبانى الحديثة ، وأن يدرس طلاب الطب آداب مهنة الطب وشروط الطبيب المسلم، وتراث المسلمين من المراجع الطبية القيمة ولكن هذا لم يحدث •

٤ ــ ترتب على سوء اختيار القيادات العلمية ، أنهم يريدون أن يسيروا بالأزهر مساراً يخالف ما أنشىء من أجله ، فهم يريدون تحويل الأزهر الى
New Azhar أو Modrn Azhar

٥ ــ سوء اختيار الطلاب لهذه التجربة الفريدة ، فالمفروض أن يختاروا من أذكى الطلاب وأكثرهم تفوقا ، الا أنهم يختارون عادة من بين الطلاب الفاشلين دراسيا ، وهم يستكثرون المواد الدراسية ، كما أن نسبة الرسوب فى جامعة الأزهر عموما مرتفعة بالمقارنة بالجامعات الأخرى ، وهناك الآلاف الذين تركوا الدراسة بسبب كثرة الرسوب .

٦ ــ قامت الجامعة على أساس الفصل بين الجنسين ، وخصصت للبنات كلية خاصة تشمل العلوم الأساسية ، والدراسات الاسلامية والدراسات العربية ، والانسانية ، واللغات الأوروبية ، والتجارة والطب • الا أن فتيات

الأزهر لا يرتدين الحجاب ولا يقتنعن به ويرون فجوة كبيرة بين مجرد الدراسة والواقع ! • كما أن الاختلاط بين الجنسين يكثر فى الكليات العملية فى شكل تبادل زيارات ودراسات عليا والتقاء بين الكليات •

٧ ــ بينما تتجه الكليات اللا دينية الى تعريب المنقول عن الغرب (كما يحدث فى كليات العلوم والتربية مثلا) يحاول أساتذة الأزهر تدريس المناهج باللغة الانجليزية •

٨ ــ كان الأولى أن يقوم الأزهر بتدريس اللغات الشرقية : الاندونيسية والباكستانية والأوردية ليختار الطالب احدى اللغات مع احدى اللغات العربية حتى يكون الطالب معداً للدعوة فى أى من تلك الدول ، ولكن اكتفى بتدريس الانجليزية (عدا كليات اللغات والترجمة) •

وكانت النتيجة الحتمية وهى أن :

طلاب الأزهر أقل فى المستوى العلمى من نظرائهم فى الكليات الأخرى وهم لم يستوعبوا المناهج الاسلامية ولم يفكر أى منهم فى تنقية المناهج مما علق بها من سموم الشرك ولقد علق الدكتور عبد الجليل شلبى فى عدة مقالات له بجريدة الجمهورية المصرية على سوء مستوى المبعوثين من الأزهر الى دول العالم بأنه يجب وقف هذه المهزلة واعادة النظر فى طلاب الأزهر [١] •



(١) عمود « قرآن وسنة » ــ جريدة الجمهورية اكتوبر ١٩٨٦

التدريس فى كليـــات الطب
واحيـــاء التراث الاســـلامى

مع الصحوة الاسلامية المباركة •• يتجه الأطباء المسلمون الى دينهـم وتراثهم ، وفى القاهرة عقد المؤتمر الطبى الاسلامى للاعجاز الطبى فى القرآن والسنة (٨ الى ١٨ محرم ١٤٠٦ هـ ـ سبتمبر ١٩٨٥) وشارك فيه مئـات الأساتذة من دول العالم قدموا فيه ما يزيد على مائتى بحث طبى اسلامى ؛ كما ثارت على الجرائد قضية تعريب الطب ، وأخيرا عقد فى القاهرة أيضا :

المؤتمر الطبى الاسلامى الدولى عن الشريعة الاسلامية والقضايا الطبية (٢ ـ ٥ فبراير ١٩٨٧) تحت رعاية رئيس الجمهورية ، وتناول قضايا جديدة كتأجير الأرحام وبنوك المنى والتبرع بالأعضاء وغيرها ••

ثم كان السؤال •• أين نصيب دارس الطب من كل هـذه المؤتمرات والبحوث ؟ •

وألا يكفى اجماع كل هذا العدد من الأساتذة وكبار العلمـاء على أن يعود الطب اسلاميا مع الابقاء على ما وصل اليه من تقدم ؟

ما هى المواد الجديدة المقترحة ؟ وكيف تكون المناهج ؟ •

وقبل أن نقدم الجديد نود أن نعرض القديم عن تاريخ الطب فى ايجاز :

يذكر المقريزى فى « الخطط » :

أن الفضل يرجع الى المسلمين فى انشاء مدارس الطب ، وأول من بنى البيمارستان أو دار المرضى هو الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ هـ ، وكان يشبه

المستشفى الجامعى أو التعليمى الآن ، حيث يعالج فيه المرضى بالمجان ، ويدرس الطب دراسة عملية ونظرية ؛ ولعل من أشهرها كان البيمارستان المنصورى الذى أنشىء سنة ٦٨٣ هـ الذى بناه أحد الأمراء المماليك ، ورتب فيه العقاقير والأطباء ، وأفرد لكل طائفة من المرضى موضعا •

والى المسلمين يرجع الفضل فى معرفة الميكروبات •• قبل اكتشافها بمئات السنين ، وكانوا يختارون الأرض ذات الهواء الطيب لبناء المستشفى ، ويعرفون ذلك بوضع قطع اللحم فى عدة أماكن ويختار المكان الذى يشهد أقل قدر من التعفن طوال فترة بقاء اللحم •• حرصا على صحة المرض •

واستمرت المستشفيات الاسلامية تؤدى دورها فى العلاج وتعليم الأطباء ، وذاع صيتها فى العالم كله ، وجاء طلاب أوروبا — التى كانت تعيش فى ظلام القرون الوسطى — ليدرسوا الطب باللغة العربية ، وكان الطلاب الأوروبيون يتحدثون العربية فى بلادهم كدليل على تقدمهم على أيدى العلماء العرب •

وكان لمهنة الطب آداب وشروط ، أهمها أن يكون الطبيب فقيها ورعا قبل أن يتعلم الطب •

والطب مهنة رحمة ، يراعى فيها أحوال المرضى ، فليس هناك ثمنا محدداً للكشف ، وكان أكثر الأطباء زهاداً حتى عرفوا باسم « الحكماء » !

وكان الحكيم « أى الطبيب » يعرف الطب القرآنى ، والطب النبوى ، وطب من سبقوه • يقول أبو بكر الرازى (الطبيب المشهور) « انما أدرك من هذه الصناعة الى هذه الغاية من ألوف السنين ألوف الرجال،فاذا أقتدى المقتدى آثرهم كان كمن أدركهم كلهم فى زمن قصير ، وصار كمن عمر تلك السنين » •

وكان التعليم الطبى يشبه التعليم فى الجامعات الاسلامية (المساجد الكبرى) كالجامع الأزهر ، فهناك كبير الأطباء وتحته أساتذة للطب ، وكان

للطالب منتهى الحرية فى الحضور والغياب واختيار من يتعلم على يديه •• وتحديد موعد الامتحان حسب استعداده •

وكان الدرس يفتتح بـ بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والصلاة على رسوله ، كما لم تكن هناك سنا محددة لدراسة الطب ، فهذا أبو بكر الرازى بدأ تعلم الطب وهو فى الأربعين من عمره •

واشتهر من الأطباء المسلمين من كانت مؤلفاتهم هى المراجع الأساسية لجامعات أوروبا حتى بداية القرن الماضى مثل : الشيخ الرئيس (ابن سينا) وكتابه « الشفاء » دائرة معارف كاملة ، وأبو القاسم الزهراوى المتوفى سنة ٤٠٤ هـ ــ ١٠١٣ م من أهم أعلام الجراحة على مر العصور ، وكتابه « التصريف لمن عجز عن التأليف » الذى يقع فى ثلاثين كتابا ، والذى يحوى رسوما مخطوطة باليد لحوالى مائتين من آلات الجراحة من اختراعه لازالت تستخدم حتى الآن •

وهذا ابن النفيس مكتشف الدورة الدموية ــ وكتابه « شرح تشريح القانون » عام ٦٦٤ هـ ــ ١٢٤٢ م •• وكتابه فى طب العيون وكتاب الأدوية •• لازالت باقية •

والآن •• ما هو التصور الاسلامى لتدريس الطب ؟

● **ان توصيات المؤتمرات الطبية الاسلامية تجمع على :**

ضرورة اعادة النظر فى المناهج التى تتنافى أو تتعارض فى بعضها مع حقائق القرآن ، والاستعانة بالتراث الطبى الاسلامى لتطوير مزاولة مهنة الطب •

وحث الجامعات على أن تكون موضوعات الدراسات العليا فى الطب والعلوم فى مجال الموضوعات ذات العلاقة بالقرآن الكريم والسنة المشرفة وعلاقتهما بالعلوم الحديثة ، وأن يكون قسم الأطباء من هدى القرآن والسنة وتعميمه فى كافة البلدان الاسلامية •

والمواد المقترح تدريسها هى :

١ ـ مادة الطب القرآنى :

وتضم ملخصا لأبحاث العلماء التى قدمت فى المؤتمر عن علم الأجنة والارضاع والتلقيح الصناعى وغيرها ، كما يضم اليها الطب النبوى بتعليق أساتذة الطب وآخر ما وصل اليه العلم والتجريب ، وتضم أيضا بحوث النباتات الطبية فى القرآن وعسل النحل والأعشاب وغيرها .

٢ ـ مادة التراث الطبى الاسلامى :

وتضم ملخصات عن الانتاج العلمى للعلماء المسلمين مثل مجلدات (الحاوى) و « القانون » و « الشفاء » والتصريف وشرح تشريح القانون وغيرها .. مع تعليق الأساتذة .. والحمد لله فقد قام كثير من الأطباء المسلمين فعلا بهذا الجهد .. والمراجع القديمة أصبحت اليوم جديدة مبسطة .

٣ ـ مادة الطب الوقائى فى الاسلام :

وتشمل شرح الآيات والأحاديث التى يستفاد منها فى الوقاية من الأمراض وتضم أيضا عدة بحوث قدمت للمؤتمر ، وتشمل كل ما يحفظ الجسم قويا وبقية الأمراض مثل : أنواع الرياضات التى أباحها الاسلام ، والمحافظة على الجسم بالنظافة العامة ، ويشمل أيضا شرح خصال الفطرة ، والفوائد الطبية للوضوء والاغتسال والصلاة والصيام ، وأداب قضاء الحاجة وآداب الطعام والنوم الصحيح والتهوية والمحافظة على البيئة من التلوث وغيرها .

٤ ـ مادة الطب النفسى الاسلامى :

وتشمل حكمة الله فى خلق الأمراض والمصائب ، وفوائد الرضى بالقضاء والصبر وأنواعه ، وآداب زيارة المرضى للتخفيف عنهم ومواساتهم وادخال السرور عليهم ، وفى كتاب مدارج السالكين لابن القيم زاد عظيم ، كما

تشمل هذه المادة أيضا : أهمية النشأة الصالحة للوقاية من الأمراض النفسية، وكذلك الأمراض النفسية وكيفية علاجها فى الاسلام (والعلاج يختلف تماما عن العلاج الأوروبى) وقد كتب علماء أجلاء فى هذا الموضوع نذكر منهم الأستاذ محمد قطب ، والدكتور فؤاد أبو حطب ، والدكتور جمال ماضى أبو العزائم وكتبهم فى غاية الأهمية للمهتمين بالطب النفسى •

على أن يستمر تدريس هذه المواد طيلة سنوات دراسة الطب وتكون حلقات متصلة تشملها الامتحانات النهائية التى تجرى لمنح الاجازة العالية للسماح بمزاولة الطب •

٥ ـ العلوم الطبية الأساسية :

كالتشريح والأنسجة ووظائف الأعضاء والكيمياء الحيوية والأمراض والأدوية والعمليات الجراحية والتوليد والأطفال وغيرها •• على أن تدرس باللغة العربية ، وهذه أهم توصية للعلماء المسلمين ، على أن تحتفظ المصطلحات الطبية بالاسم اللاتينى توحيداً للدراسة بين شعوب العالم كله ، على أن يكون التبحر فى هذه المواد بعد التخرج لمن أراد التخصص فى أحد فروع الطب ، وله بعد ذلك أن يتقن اللغة ــ ان احتاج ذلك ــ التى سيكمل الدراسة فى بلدها ــ مع العلم بأن الأطباء المسلمين ــ ولله الحمد ــ قد وصلوا الآن الى العالمية وبامكانهم منح أعلى درجات الطب فى البلاد الاسلامية •

ولا حجة للخائفين من تدريس الطب باللغة العربية ، فقد كانت هى لغة العلم والطب قبل الغزو الاستعمارى والتغريب المعاصر ، وهى قادرة بترادفاتها على استيعاب مصطلحات كافة العلوم وقد صدرت بالفعل قواميس عربية حديثة لتوحيد تعريب المصطلحات بين الدول العربية (كما حدث فى الكويت) ، كما أن الطب وغيره يدرس باللغة العربية فعلا فى سوريا والعراق وغيرها •

ولاشك أن هذا الجهد سيكون شاقا •• ولكن عندنا ولله الحمد ــ من الأساتذة من يستطيع أن يتضلع بهذه المهمة •• ولتأخذ سنوات ولتكن بالتدريج ــ كأن تدرس بعض المواد باللغة العربية على سبيل التجربة أولا ــ كما حدث فى كلية علوم عين شمس ــ على أن تعمم فيما بعد • المهم البداية والاصرار على المبدأ •

على ألا تزيد مدة الدراسة فى الطب عن خمس سنوات •• ثلاثة منها فى المستشفى ، والله تبارك وتعالى سيبارك فى الوقت اذا اختصرنا هذا الكم الهائل من المواد الأجنبية المعقدة ••

كما أن التدريس باللغة العربية يوفر الوقت والجهد ، وهى الأسهل والأنفع للعلم عندنا •

ان دراسة المواد الطبية الاسلامية هى الوسيلة لاحياء تراثنا العظيم وتطويره والاضافة اليه ، واعداد الطبيب المسلم المتميز ، وهى الوسيلة الوحيدة للاستفادة من مئات البحوث والمؤتمرات الاسلامية ، وبدون ذلك ستضيع كل هذه الجهود والتوصيات والله يأخذ بأيدينا الى الخير •



تدريس علم الطفيليات

من منظور اسلامي

يدرس هذا العلم في الكليات الجامعية .. كما يدرس بعضه لطلبة المدارس بنظم أوربية ميتة ، وكأن الكون يعمل بطريقة عشوائية ، والاصابة بالطفيليات واحداث الأمراض تتم بالمصادفة ، والمنهج الأوروبي يدرس للطلاب دورة حياة الطفيل والوقاية منه (كما كشفها الله لمكتشفها) أو كما تبدو له ، لكنه لا يجيب على أسئلة تحير الطلاب :

- لماذا خلق الله الطفيليات ؟ ولماذا سلطها على الانسان ؟
- لماذا لم ينجح الانسان في القضاء على نوع واحد من الطفيليات ؟
- ما هي نتائج استخدام المبيدات الحشرية والسموم ؟ والى متى ؟
- لماذا يموت العائل .. والى متى سيظل الصراع مع الطفيليات ؟

والمنهج الاسلامي يمهد للدراسة بتعريف هذه الحكم ، فالله سبحانه لم يخلق شيئا عبثا ، فكل مخلوق بحكمة وله دورة في الحياة ، فالله سبحانه الخالق لكل شيء .. منه البلاء ومنه الشفاء ، يسلط هذه الكائنات عن من يشاء ويصرفها عمن يشاء « ويخلق مالا تعلمون » .

واكتشاف دورة حياة الطفيل .. أو اكتشاف علاج له يوجب شكر الله وحمده .. والا سلط الله علينا من المخلوقات ما هو أشرس وأخطر . « كما حدث عندما أعلنت أمريكا أنها اكتشفت علاجا لبعض أنواع السرطان فقد ظهر فيها فيروس فقد المناعة الأخطر من السرطان واسمه « ايدز » ويستحيل عقلا أن تتم حياة الطفيليات بكل هذا التعقيد وهذه الدقة بلا اله قادر عظيم .

واذا ادعينا بألسنتنا أن الله موجود ، ثم لا ننسب اليه الخلق والتدبير والاصابة والشفاء ودرسنا علومنا بعيداً عن الله — بحجة أنها علوم محايدة فقد جهلنا قدر ربنا وكفرنا به ، اذ العلم الحديث يذكر الفضل للمكتشفين ، ولابد فى الرسائل العلمية من ذكر المراجع ومؤلفيها ، فكيف نجهل الخالق الفتاح العليم الذى تفضل وفتح علينا من أسرار كونه ما شاء تكرما ، وعلمنا ما لم نعلم « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ؟ .

● **حكمة الله فى الطفيليات والأمراض :**

لقد خلق الله الطفيليات ليقلل بها غرور الانسان .. ويعرف قدره ، وسلطها الله على الناس ليعلموا ضعفهم واحتياجهم لربهم ، ولو كانت الحياة بلا كدر لكانت هى الآخرة ، ولما احتاج الناس أن ينتقلوا الى الجنة ؟ وقد تحدى الله البشر بها ، قال تعالى : « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » (الحج : ٧٣) .

والمرض من المحن التى تقرب الانسان من ربه وتسقط عنه حجاب الغفلة والمعصية ، والشدائد والكرب طريق لرحمة الله « وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو » وكم فى حياة القادة والعظماء من كان مرضه السبب فى نجاحه ، فهذا الشاب الذى أصيب بشلل الأطفال وكان ينتقل على عربة يدفعها أحد أعوانه ، وصار يخطب ويقابل الجماهير ، وأصبح فى يوم ما — بالرغم من مرضه رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية (١)

ولن ينجح الانسان فى القضاء على نوع واحد من الطفيليات مهما فعل ، فهذه حكمة الله فى خلقه ، وهى جنود الله التى قال فيها : « وما يعلم جنود ربك الا هو » (المدثر : ٣١) فلنا أن نأخذ بأسباب الوقاية ، ونسأل الله العافية ، فاذا قدر الله بعد ذلك وأصيب الانسان فليحمد الله على البلاء ،

---

(١) القرآن والعلم الحديث عبد الرزاق نوفل .

وليسأله الشفاء وليرض بالقضاء ولا يقول : لو انى فعلت كذا وكذا وليقل قدر الله وما شاء فعل .

لأننا لا نملك حيال هذه الطفيليات شيئا وهذه أمثلة :

١ ــ أكثر الناس يصابون بالاسهال فى العالم ، و « الانتاميبا هيستولينكا » احدى مسبباته ، ومن المعروف أنها تعيش فى أمعاء الناس حياة عادية ، ثم تتحول متى شاء الله الى طفيلية ، تأكل جدار الأمعاء ذاتها ، وتحدث بها الجروح التى قد تختفى فيها وتسكن جدار الأمعاء ، وتحتمى من الدواء حتى ليشعر المريض أنه قد شفى ثم تعود فى الظهور مسببة حالة مزمنة ؟ فأى حيلة لنا ؟ .

٢ ــ طفيل « البلازموديوم » الذى يسبب حمى الملاريا لحوالى خمسمائة مليون شخص فى العالم كل عام ، وتنقله أنثى البعوضة « أنوفليس » يعيش فى كرات الدم الحمراء ويتكاثر فيها حتى يحطمها ، وهو صغير جدا ، فالملليمتر المكعب الواحد من الدم يحتوى على قرابة خمسة ملايين خلية حمراء .. فما هو حجم الطفيل ؟ .

وقد عرف أخيراً أن الطفيل قد يكمن فى خلايا الكبد لسنوات ثم يعاود الظهور من جديد مسببا ما يسمى بالنكسة المرضية Relapse فأى حيلة لنا ؟ .

٣ ــ ديدان البلهارسيا تصيب حوالى مائتى مليون شخص فى العالم كل عام ، وقامت عشرات البحوث والتجارب والرسائل العلمية على تلك الديدان ، فمن قائل بقتل القواقع فى الماء العذب (العائل الوسيط للطفيليات) ، ومن قائل بايجاد لقاح واقى ضد البلهارسيا يطعم به الفلاحون ، ومنهم من ينادى بمزيد من الوعى بحيث يغير الناس من سلوكهم

---

(٢) محاضرات فى علم الطفيليات د. محمد فتحى سعود . علوم عين شمس القاهرة ١٩٨٢

بعدم التبول والتبرز فى الترع ، ومع ذلك ما تزال البلهارسيا تصيب الملايين ؟ فأية حيلة لنا ؟ .

٤ ـ ديدان القطن (وأفات المحاصيل الزراعية) :

ظهرت بصورة وبائية ، وكل عام تزداد شراسة ، ونحن نعتمد على عقولنا فى حربنا مع هذه المخلوقات ، وكلما ظهر مبيد حشرى جديد كلما أكسب الله هذه الجنود مناعة وحصانة ، ونحن لم نجن سوى التلوث بالسموم فى الماء والخضروات .. حتى الألبان التى نشربها . حتى الطيور التى خلقها الله لتنقية التربة من هذه الديدان .. قتلتها المبيدات الحشرية ؟

فأى حيلة لنا ؟ أما آن الأوان أن نعرف حكمة الله وندعوه سبحانه ليصرف عنا البلاء ؟

٥ ـ لقد بلغ عدد الحشرات أكثر من ألف وخمسمائة نوع ، بعضها نافع وأكثرها ضار ، فالقمل (بنوعيه .. قمل الرأس وقمل الجسد) ينقل للانسان الحمى الراجعة ، ويشترك مع البراغيث ، نقل حمى التيفوس (باذن الله متى شاء) ، وتنفرد البراغيث بنقل مرض الطاعون من الفئران الى الانسان باذن الله تعالى .

أما الذباب والبعوض فينقلان أكثر من عشرة أمراض منها الملاريا والفيلاريا والحمى الصفراء ومرض النوم الأفريقى والكوليرا وغيرها .. فسبحان من أحصى كل شىء عدداً ووقى الناس هذه الأمراض كلها ، ولو سلط مخلوقاته على البشر لهلكوا جميعا ! .

وأخيرا فقد اتفق علماء الطفيليات فى مؤتمراتهم الأخيرة وتوصياتهم على أن البحوث يجب أن تحدث توازنا أو تعايشا بين الطفيل والعائل وليس مجرد قتل الطفيل ، فالطفيليات كثيرة ويستحيل القضاء عليها ، كما أن الأدوية تضعف الجسم ، وتكون مناعة للطفيليات .

يقول د. هولمز فى محاضرته فى اجتماع كلية هارفارد الطبية :

اذا شعرت بالمرض فلا تهرع الى الأدوية ، بل وحاول تجنبها ما أمكنك ، وأفضل وسيلة للشفاء : الامتناع عن الأكل أو الاقتصار على عصير الفاكهة لبضعة أيام حتى تشفى ، واعلم بأن تعاطى الأدوية دون ضرورة يفتك تدريجيا بالأجسام ، ويضعف قوى المناعة الطبيعية .

ولو قذفنا بجميع ما لدينا من العقاقير الطبية الى قاع البحر ، لتحسنت صحة الانسان ولساءت صحة الأسماك [1] .

* * *

(١) المرجع السابق .

تدريس علـــوم البحـــار
من منظـــور اســـــلامى

لا يأخذ تدريس علوم البحار فى المدارس والجامعات حقه من الاهتمام ..

ومع تصاعد أزمة الطاقة فى العالم •• ومشكلة التصحر التى تواجـه الأرض الزراعية التى تنقص كل عام وجب أن تهتم الدول الاسلامية بعلوم البحار كمصدر كبير للطاقة والبروتينيات والمواد الغذائية •

الله سخر لنا البحر : فهل استخرجنا كنوزه ؟

على أن علوم البحار •• والتى تفوق فيها الغرب أيضا ــ أسهل علينــا من علوم الفضاء التى ليس لنا فيها باع طويل •• والله سبحانه يلفت نظــرنا فى آيات كثيرة للاستفادة من البحار ، قال تعالى : « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً وتستخرجوا حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيــه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » (النحل : ١٤) •

وتسخير البحر يشتمل على أشياء كثيرة كما سنرى •

● عناصر هامة تضاف لمناهج علوم البحار :

١ ــ ماذا يملك المسلمون من بحار العالم ؟

(مادة جغرافيا البحار وتضاريس البحر) ودراسة ــ البحار الاسلامية ــ كوحدة •• تدل على تميزنا فى الدراسة عن غيرنا •• وليس مجرد نقل لعلوم البحار وترجمتها وتدريسها لطلابنا ! •

والمتأمل لخريطة العالم الجغرافية يجد تحكم الدول الاسلامية فى أغلب مداخل البحار الهامة ! ففى البحر المتوسط نجد أن المغرب العربى يسيطر على مضيق جبل طارق (المدخل الغربى للبحر) كما تتحكم مصر فى قناة السويس التى تصل البحر الأحمر بالمتوسط •

وتسيطر تركيا على مضيقى ،بوسفور والدردنيل اللذين يربطان البحر الأسود بالبحر المتوسط كما يعتبران من أهم منافذ الاتحاد السوفيتى الى البحار الدافئة ! •

كذلك يتحكم المسلمون فى أهم مداخل المحيط الهندى • فمضيق باب المندب تحت سيطرة اليمن الجنوبى من ناحية ، واقليم عفو وعيسى (الصومال الفرسى) من الناحية الأخرى •

كما أن مضيق ملقا (وهو المدخل الرئيسى للمحيط الهندى من جهة الشرق) تشرف عليه ماليزيا و (شبه جزيرة الملايو) من ناحية ، وأندونيسيا من الناحية الأخرى عند سنغافورة •

كذلك مضيق هرمز الذى يربط خليج عمان بالخليج العربى ، وتطل عليه ايران من الشمال وسلطنة عمان ودولة الأمارات من الجنوب ، هكذا نرى أن الدول الاسلامية تسيطر على المناطق الهامة •• موضع الصراع فى العالم •• ولكنها لا تؤدى دورها فى حركة الحياة ، لا تستغل ما حباها الله من كنوز •

٢ ـ تاريخ البحيرة الاسلامية :

والتفوق العسكرى البحرى (مادة تاريخ البحرية الاسلامية) تذكر كتب التاريخ أن البحر المتوسط كان يعتبر « بحيرة اسلامية » •

وأن المسلمين كانوا سادة البحر منذ أيام الخليفة الثالث •• عثمان ابن عفان ، وبعد موقعة « ذات الصوارى » بين المسلمين والرومان والتى

أظهر المسلمون فيها تفوقا واضحا فى اسلوب المعارك البحرية ، واستمرت هذه السيادة حتى الحروب الصليبية فى القرون الوسطى والتى حسمها صلاح الدين الأيوبى بانتصاره على الجيوش الصليبية لاحدى عشرة دولة أوروبية جاءت عن طريق البحر المتوسط أيضا .

كذلك الصفحة المشرفة لتاريخ الرحالة والبحارة العرب الذين كان لهم الفضل فى حركة الكشوف الجغرافية والتى كان من نتائجها ظهور الأرض الجديدة (استراليا والأمريكتين) على خريطة العالم .

● هذه الأمجاد يجب أن تدرس للطلبة :

حتى تكون دافعا لاستعادة السيادة العسكرية على البحار .. التى لا تملك الدول الاسلامية (رغم موقعها) سوى المياة الاقليمية التى حددتها الاتفاقات الدولية .. أما أعالى البحار فهى للاساطيل الأمريكية والروسية ؟

٣ ـ السياسة البحرية وتلوث البحار والمنظمات الدولية :

لم يحدث حتى الآن اتفاقا نهائيا لتنظيم استغلال البحار دوليا ، ولكن هناك عدة نقاط متفق عليها بين الدول فيما يختص بـ :

(أ) تحديد المياة الاقليمية للدول الساحلية بحوالى ١٢ ميلا بحريا داخل البحر .. وللدولة الحق فى الدفاع عنها ومنع غيرها من الملاحة أو الاقتراب منها الا بتصريح (سيادة كاملة) .

(ب) المنطقة الاقتصادية : وتقدر بحوالى مائتى ميل داخل البحر ، وللدولة الساحلية الحق فى الصيد فيها والتنقيب عن البترول ولكن ليست لها السيادة عليها .

(جـ) تقرير حق الدول التى لا تمتلك شواطئا فى استغلال البحار والمحيطات خارج المناطق السابقة تحت حماية السلطة الدولية (المياة الدولية) .

(د) منع التلوث البحرى للمحافظة على الكائنات البحرية .

٤ ـ سنن الله الكونية فى البحار (طبيعة البحار) :

وتشتمل هذه المادة على التحاليل الدقيقة لماء البحار وتأثيرها على الكائنات البحرية ودرجة الملوحة فى البحار : كما تشتمل على السعة الحرارية للماء وتأثير ذلك على الكائنات البحرية أيضا •

كما تشتمل على أنواع الحركات المائية فى البحار (اسبابها وطبيعتها واستغلالها) ومن تسمية المادة يتضح أن الملوحة والحرارة والضوء وحركة الريح والأمواج كلها من سنن الله الكونية ؟

فسبحان من خلق للقاع المظلم كائنات تعيش فيه وزودها بأعضاء مضيئة ؟

١ ـ فمن الخواص الهامة للماء سعته الحرارية التى تجعله وسطا هاما للاحتفاظ بالطاقة وتحويلها من صورة لأخرى ويستفاد من ذلك فى توليد الطاقة البخارية وتحويلها الى طاقة ديناميكية أو كهربية (كاستخدام الطاقة الشمسية فى تسخين الماء فى الأنابيب ، وفى امتصاص الطاقة الزائدة من المفاعلات النووية وغير ذلك) •

وتعتبر البحار بيئة ثابتة حراريا ، اذا قيست بالتغير الحرارى على الأرض ، ويرجع ذلك الى ارتفاع الحرارة النوعية للماء ، والماء مذيب قوى وهو الوسط الأساس للعديد من العمليات والتفاعلات الكيميائية والبيولوجية ، كما أن الماء يتميز بأنه المركب الوحيد الذى تكون كثافته فى الحالة الصلبة أقل من كثافته فى الحالة السائلة عند درجة الانصهار ، ولذلك يطفو الثلج ، فاذا ما اشتدت البرودة عمل الثلج كوسط فاصل بين الجو البارد وبيئة البحر الدافئة حفاظا على الكائنات الحية البحرية ؟

والثبات الحرارى للماء يناسب الحيوانات البحرية التى تعرف بأنها من « ذوات الدم البارد » والتى تتغير درجة حرارة أجسامها تبعا لتغير حرارة البيئة حولها (كالأسماك) •

٢ ـ تحلية مياه البحر بالبخر والتقطير •• أو بالتحليل الكهربى

(الكروموتوجـرافى) •• وفى نفس الوقت الحصـول على الملح (ملح الطعام) •

٣ ـ السباحة والملاحة والصيد وهذا يؤدى الى معرفة خمسة أنواع من الحركات المائية لخطورتها :

١ ـ **الأمواج** Drifts :

وهى الحركة السطحية فقط مع اتجاه الريح ، وقد ترتفع لأمتار •

٢ ـ **التيارات** Currents :

وهذه تنشأ بفعل الرياح واختلاف كثافة طبقـات الماء تبعا للحـرارة أو البرودة أو درجة الملوحة ، ومن أشهر التيارات : تيار الخليج الذى ينشـأ من سرعة البخر التى لا تلاشيها مصبات الأنهار أو سقوط أمطار ، مما يؤدى الى زيادة كثافة الطبقة السطحية تبعا لارتفاع الملوحة مما يؤدى لحركة غوص الماء •

٣ ـ **الدوامات** Sweffing & sinking :

وهى حركة دائرية سريعة للماء فى دائرة صغيرة ، يتبعها غوص للطبقات السطحية وصعود السفلية ، أى حركة تقليب سريعة للماء يجب تجنبها عنـد السباحة :

٤ ـ **الجبال الثلجية** Ice bergs :

وتحدث عندما يتجمد سطح البحر فى المناطق القطبية ويحدث تشـقق فى الجليد نتيجة للصواعق ، وتتحرك الجبال الثلجية مع الريح والتيـارات المائية متجهة ببطء صوب البحر ، حيث تذوب جوانبها بالتدريج مكونة بحيرة من الماء العذب وسط البحر المالح ، أما اذا اصطدمت بها احدى السفن فانها تتحطم تماما •

٥ ـ المد والجزر Tises :

وهو من أعجب الحركات المائية ، وله أهمية كبرى فى مواعيد اقلاع ووصول السفن حتى لا تغوص فى رمال الشاطىء ، ويوجد حاليا أجهزة لقياس المد .

والجذر : انحسار الماء عن الساحل وابتعاده .

والمد : هو عودة الماء الى الشاطىء .

وقديما : وبالفطرة حاول الصيادون ربط تلك الحركة بالقمر ، أما فى عصرنا فان هذه الظاهرة تفسر على أساس علاقة المد بكل من الشمس والقمر .

● انواع المد وعلاقتها بمنازل القمر :

« والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » (يس : ٣٩) :

١ ـ المد اليومى :

ويسمى المد البسيط حيث يدور مع القمر ليشمل الأرض كلها خلال الأربع والعشرين ساعة ، وهو يتكرر على كل شاطىء مرتين فى اليوم ، أى كل ست ساعات تزيد كل يوم عن سابقه بخمسين دقيقة .

٢ ـ المد الشهرى :

وفيه يزيد الماء عند اكتمال القمر بدراً ، ويقل الماء وينحسر عن الشاطىء كلما صغر القمر ، ثم يعود الماء الى الزيادة عند المحاق (أى اظلام القمر) . ومن هنا ندرك أهمية الشهور العربية (القمرية) بالنسبة لمعرفة حركات المد والجذر .

٣ ـ المد الربيعى :

ويحدث عند تواجد الشمس والقمر والأرض على مستوى واحد فيحدث أعلى مستوى للمد والجذر .

٤ ـ المد المزدوج :

ويحدث كل ساعتين فى بحر المانش بين الشاطئين الفرنسى والانجليزى ويحدث عندما تتداخل الأمواج الآتية الى الشاطىء مع الأمواج المرتدة منه .

● مادة بيولوجية البحار والتطبيقات العملية لها :

١ ـ المزارع البحرية :

والمزارع البحرية لأنواع عديدة من اللحم البحرى :لشـتى كالمزارع السمكية ومزارع القشريات (كالجمبرى والكابوريا) ومزارع المحار الذى يؤكل فى كثير من الدول الأوروبية ومزارع اللؤلؤ على الشواطىء اليابانية .

وزراعة المحار فى فرنسا واليابان على الشواطىء تساوى زراعة القطن فى مصر ، نفس الدخل القومى ، كما أنها عمل لكل أفراد الأسرة هناك .

٢ ـ أستخراج الطحالب البحرية والحيتان والصناعات القائمة على كل :

وهى مصادر غذائية غنية بالفيتامينات والبروتينات ، واليابانيون وسكان الجزر يأكلون الطحلب المعروف باسم اللامينارية ويسمونه « الكرنب البحرى » ، وتستخدم أنواع منها كسماد للتربة وعلف للماشية ، وتستخلص من بعضها الفيتامينات وأملاح اليود والبوتاسيوم ، والمادة الشهيرة باسم « آجار آجار » المخاطبة التى تستخدم فى المزارع البكتيرية وعمل الحلويات، وتسمى (الجلى) ، كما يستخرج من الطحالب مساحيق طلاء السفن والأخشاب وصناعة الصابون الفاخر ومعاجين الأسنان .

٣ ـ وتقام على الأسماك صناعات كثيرة لحفظها بالتجميد أو التجفيف أو التمليح أو التدخين ، كما تدخل مخلفات الأسماك فى صناعة علف الدواجن والمخصبات الزراعية .

ويستخرج منها زيت السمك المعروف بفوائده الطبية ، أما طعام « الكافيار » اللذيذ فانه يحضر من بيض السمكة Sturgeon

٤ ـ ويستخرج من حوت العنبر زيتا أبيض يدخل فى صناعة أدوات التجميل وكريم الوجه ، ويستخرج العنبر من أمعائه ويدخل فى صناعة العطور •

٥ ـ وتقوم على استخراج الاسفنج صناعات كثيرة لاعداده للاستعمال الآدمى •• ومما يؤسف له أن الشركة التى تقوم باستخراجه من مصر لاتزال تستخدم مراكب أجنبية وصيادين أجانب مقابل التنازل عن ٨٥ ٪ من الانتاج ؟

٦ ـ أما الحلى التى تستخرج من البحر فأهمها اللؤلؤ الذى يستخرج من الأصداف البحرية ذات المصراعين ، ثم المرجان البحرى ، وهو حيوان يعيش فى مستعمرات كبيرة تزين قاع البحر بألوانها وتسمى الشعاب المرجانية ، قال تعالى : « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » (الرحمن : ٢٢) والشعاب المرجانية كثيرة •• منها الشاطئية وهى خطر على الملاحة ، ومنها الحاجزية كالحاجز المرجانى الأعظم الممتد بطول شاطىء استراليا الشرقى ، ومنها شعاب الجزر بالقرب من جنوب الهند •

والمرجان منه الأحمر ومنه الأسود وغيره •

والآن : ما هو نصيب الدول الاسلامية من كل هذه الصناعات والمزارع البحرية ؟

أين أساطيل الصيد الاسلامية فى أعالى البحار ؟

ان الله عز وجل قد أخفى فى البحر كنوزا وأمرنا بالبحث عنها ، وحثنا رسول الله على تعلم السباحة •• وبقيت المناهج التعليمية لتوجيه الطلاب نحو البحر والبحث عن رزق الله •

* * *

تدريس علم التطور ونشأة الأنواع

بمقياس الاسـلام

قبل الرد على افتراءات علماء التطور .. وأساتذة تدريس هذا العلم أقرر حقيقتين :

الأولى ـ ان الاسلام دين العلم :

والتفكر فى المخلوقات عبادة ، بل لقد أمر الله سبحانه بالبحث والتأمل فقال : « أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ؟ ان ذلك على الله يسير .

قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير » (العنكبوت : ١٩ ، ٢٠) .

وقد بشر النبى صلى الله عليه وسلم بظهور العلم الحق مهما حاول الكفرة والملحدون طمس الحقائق وتشويهها فقال : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين » .

الثانية ـ حتمية ارتباط العلوم كلها بالدين :

وجريمة الفصل بينهما ، لما كان الاسلام دين العلم ، فانه يحرم خروج العلم على حدود المعتقدات الدينية .

لقد هبت ريح عاصف من أجواء الغرب المادى لتذهب معها طرفاً من المفاهيم الاسلامية الصحيحة وترسخ بدلا منها مفاهيم مريضة ، ثم نشأت أجيال المسلمين على خلو ساحة الدين ، وكانت هناك :

جملة من الأسباب ادت الى وجود الفجوة المفتعلة بين الدين والعلم منها :

١ ــ انتشار أفكار الشيوعية والملحدين بين ضعاف الايمان ، والذين درسوا فى جامعات الغرب وحملوا هذه السموم معهم الى المسلمين .

٢ ــ سعى بعض العلماء لاكتساب شهرة ــ ولو على حساب مخالفة الاجماع ــ ولو باعتناق آراء يعتقدون فى سريرتهم بفسادها .

٣ ــ المخلفات الاستعمارية التى تركها الاستعمار الطويل فى الشعوب الاسلامية التى فرض عليها ثقافته ولغتــه ، ثم ترك فيها مدارســه (مدارس اللغات) لتربى الأجيال على معتقداته .

٤ ــ محاولة عرض غيبيات الشرائع السماوية على مقاييس العلم البشرى الناقص .

٥ ــ انتشار نظريات الخلق والحياة على أيدى داروين وغيره .. رغم عدم قيام الدليل على صحتها .

ومن الطريف :

أن داروين ــ الذى تنسب اليه خطأ كل نظريات التطور العضوى ونشأة الأنواع ــ قام برحلته الشهيرة حول العالم على الباخرة (بيجل) ، والتى استغرقت نحو ثلاث سنوات كانت بهدف التأمل فى مخلوقات الله ! كما كانت بتمويل من الكنيسة الانجليزية لتدعيم الدعوة الدينية فى عصر النهضــة ، حين طغت المادية وانبهر الناس بها .

كما أن داروين درس الكهنوت والعلوم الدينية سنوات طويلة من عمره .

* * *

تعدد النظريات فى تفسير نشأة الأرض

فمنهم من يقول أن نجما اصطدم بالشمس فانفصلت منها كتلة ملتهبة ، أخذت تبعد عنها وتبرد وكانت الأرض ! .

ومنهم من يقول : أن الغازات فى الفضاء أخذت تبرد وتتكاثف ، فتكونت الشمس والكواكب وهذا هو التطور الغير عضوى الذى استمر أكثر من ٢٠٠٠ مليون سنة .

ثم يقولون أن الحياة نشأت فى البحار أولا ، حيث تكونت المادة الحية « البروتوبلازم » بتأثير عوامل الضغط والحرارة وملايين السنين ، ثم تطورت الخلية الواحدة الى حيوانات عديدة الخلايا ، ثم انتقلت الحياة من البحار الى اليابسة ، ولازالت الحيوانات ترقى (بالطفرات وقانون الاستعمال والاهمال وتوارث الصفات الجديدة) حتى وصلت الى الانسان الذى يعيد تاريخ أسلافه فى أطواره الجنينية الأولى ؟

هكذا دون خالق ! أهذا علم أم حماقة ؟ .

تطور الانسان الحديث :

يقولون : أنهم اكتشفوا هيكلا لانسان قديم فى (جاوه) ، ويسمونه الانسان القرد ، وهو الحلقة المفقودة بين الانسان الحديث والقرد ! وأن حجم المخ عنده كان حوالى ٦٠٠ سم^{٣} ، ثم اكتشفوا هيكلا عظيما لانسان آخر فى (نياندرثال) وهذا الانسان هو الذى قضى على الانسان القرد ، وكان حجم المخ عنده أكبر قليلا (حوالى ١٠٠٠ سم^{٣}) ، ثم تطور الى الانسان الحديث ! .

وعموما : كان الانسان القديم منحنى القامة ضعيف العقل ، قليل الحيلة والذكاء ، ثم اعتدلت قامته واختفى ذيله (أى ضمر) ، وكبر حجم المخ حتى صار حوالى ١٢٠٠ سم٣ ، وزادت قدراته العقلية ! فهل هذا يتفق مع ما أخبرنا به ربنا عن خلقة آدم عليه السلام ؟ ثم يستدل بعض الأساتذة (ليبرهن صدق هذه المراحل) بقوله تعالى :

« مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطواراً » !

فهل الانسان القرد وانسان « نياندرثال » والانسان الحديث هى الأطوار التى أرادها الله سبحانه فى الآية السابقة ! أم هى أطوار التكوين فى الرحم (من نطفة الى علقة الى مضغة ثم تكوين العظام واللحم) كما قررت آيات كثيرة فى القرآن الكريم .

كذلك الأطوار الأخرى التى مر بها آدم — عليه السلام — قبل الخلق من الماء والتراب والطين والحمأ المسنون (أى الطين المتخمر) والصلصال الفخار ثم نفخ الروح على نحو ما قررت آيات أخرى ؟

وهكذا صار المسلم يقرر ما قاله علماء الغرب ثم يبحث فى القرآن ليغطى الخطأ بثياب الحق ! هل يتصور أن يتخذ الله سبحانه خليفة له فى أرضه منحنى القامة محدود العقل ثم تحدى به الملائكة فى العلم ويسجدهم له تحية واكراما ! .

كيف نشات الأرض ؟

يقول تعالى فى سورة فصلت : « قل أانكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سماوات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا . ذلك تقدير العزيز العليم » (فصلت : ٨ — ١٢) .

فهو سبحانه يخبر عباده الذين تعدوا حدود الأدب معه أنه « خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش » •• (السجدة : ٤) •

لكن ما مقدار هذه الأيام الستة ؟ :

يقول سبحانه فى سورة الحج : ٤٧ : « وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » ويؤكد ذلك فى سورة السجدة : ٥ : « يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » •• فهو سبحانه أعلم كم كان مقدارها وقال :

« ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً » (الكهف : ٥١) •

اما تفاصيل التكوين :

فقد ذكر البخارى فى صحيحه ما نقله ابن كثير فى تفسيره :

قال رجل لابن عباس : انى لأجد فى القرآن أشياء تختلف على ، وذكر منها قوله سبحانه فى سورة النازعات : « ءأنتم أشد خلقا أم السماء بناها • رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها • والأرض بعد ذلك دحاها » •• هنا ذكر الحق خلق السماء قبل الأرض ، وفى سورة فصلت « ثم استوى الى السماء « وفيها خلق الأرض قبل السماء ؟

فقال ابن عباس :

« خلق الله الأرض فى يومين ثم استوى الى السماء فسواهن فى يومين آخرين ، ثم دحى الأرض (أى أخرج منها الماء والمرعى ـ النبات ـ) وخلق الجبال والرمال والجماد فى يومين آخرين » •

والرواسى هى الجبال (وهى أوتاد الأرض) .

وبارك فيها :

أى أن البذرة تنبت عشرات البذور ، ولو لم يبارك فيها لتعفنت البذرة وماتت ولم تنبت •

واقواتها :

أى أرزاق سكانها ، وأوحى فى كل سماء أمرها : أى رتب فيها ما تحتاج اليه من الملائكة وما فيها من الأشياء التى لا يعلمها الا الله •

وأورد مسلم والنسائى فى صحيحيهما عن أبى هريرة قال : أخذ رسول الله بيدى فقال :

خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الأثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة فى آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر الى الليل •

ومن هذا الحديث نعلم :

أنه سبحانه بدأ خلق الأرض ، ثم خلق الجبال (ومعها البحار لاحداث توازن الأرض بين الأرتفاع والانخفاض حتى تستقيم الأرض) •

ثم خلق النبات والكائنات الدقيقة (بعد أن استوت الأرض وبورك فيها للزراعة) •

ثم خلق النور اللازم لحياة الكائنات ، ثم الدواب (وهى الحيوانات التى تدب على الأرض) •

وهى كما نرى خلقت بعد النبات فى الترتيب لأنها تتغذى عليها •

ثم الانسان •• وهو آخر المخلوقات على الأرض ، وقد جعله الله سبحانه

خليفة له فيها يقيم العدل بين المخلوقات ، ويعبده سبحانه ويطبق شريعته والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن الطريف هنا :

أن اليهود قالوا : خلق الله السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استراح فى السابع ! فنزل قوله تعالى : « ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب » (ق : ٣٨) واللغوب أى التعب .

فسبحان من خلق السماوات والأرض ولم يتعب ؟

ومن الثابت فى عقيدة المسلم :

أنه لم يحدث تطور من كائن لكائن آخر ، فضلا عن رفض فكرة تناسخ الأرواح ؛ فهو سبحانه قد خلق كل كائن كما هو الآن ؛ قال تعالى :

« والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شىء قدير (النور : ٤٥) .

وقال : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم، ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم الى ربهم يحشرون » (الأنعام : ٣٨) .

اما عن الانسان :

فالله سبحانه كرمه ابتداء وخلقه فى أحسن تقويم فقال :

« لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » (التين : ٤) ويقول : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (الاسراء : ٧٠) . فسبحان من خلق وأبدع .

* * *

الخيال العلمى عندما يخالف العقيدة

مواد دراســـية مشـــوهة

سبق أن نشرت لى مجلة « منار الاسلام » بحثا عن « التطــور ونشــأة الأنواع بمقياس الاسلام » ، وحذرت فيه من خطأ تدريس ماده « التطــور ونشأة الأنواع » فى المدارس والجامعات ، وطلبت فيه من أساتذة الجامعات المخلصين لدينهم أن يجتمعوا كى يخلصوا المواد الدراسية مما علق بها من سموم الغرب ، ولكن يبدو أن هناك مواداً دراسية كثيرة بحاجة الى تصحيح لتتفق مع عقيدة التوحيد ، وحتى لا نطلق العنان للتخيل والتخمين ، وندرس ذلك لطلابنا على أنه علم .

● مواد دراسية خاطئة :

فمثلا : فى مادة « تاريخ تربية » .

التى تدرس ضمن المواد التربوية المقررة على طلبة كليات التربية فى مصر وجدت الاساتذة يندفعون وراء الخيال العلمى لنشأة الانسان ، فيصورون المراحل التربوية الأولى بأنها كانت صراعا بين البشر ! (منــذ حوالى ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد) ، وأن البشر كانوا قبائل متفرقة ، لا تعرف النار ولا الرعى ولا الملابس ؟ .

وأنهم كانوا يعيشون « العصر الحجرى » وكان الانسان لم ينضج عقله بعد !

ويستطرد المؤلف التربوى فى خياله عن نشأة التدين فى القبائل البشرية ، فيذكر أنه كان لكل قبيلة اله خاص بها ، وأن توحيد الآلهة القديمة فى صوره

الإله « اخناتون » عند قدماء المصريين كان ثمرة تعاون حدث بين القبائل فى الدولة القديمة (بعد ٤٠٠٠ سنة ق٠م)

فهل هذا يتفق مع ما جاء فى القرآن الكريم ؟

وهل ترك الله البشرية بعد خلقها تتخبط فى جهالات الشرك طيلة تاريخها أم أرسل لها رسلا ؟

أيضا فى مادة علم اللغة التى تدرس ضمن المواد الدراسية لكلية دار العلوم ، يدرس قريبا من هذا الكلام ، ويذكرون أن الناس كانوا يتصايحون ثم اتفقوا على تسمية الأشياء ، ثم نشأت الكتابة بالصور (السومرية) والفرعونية القديمة (الهيروغليفية) ثم ظهرت الحروف ثم اللغات المختلفة بعد ذلك ٠

أى أن البشر لم يعرفوا الكلام الا بعد عدة قرون من خلقهم ؟

وقد تكون هذه التخمينات أقل ضرراً من كتاب كبير بعنوان « الموسوعة العلمية الحديثة » وهو مؤلف أجنبى تقوم بترجمته الى اللغة العربية دار « عكاظ » للنشر ! ٠

وهذا الكتاب مصيبة فى الدين ، اذ أنه يتعرض لنشأة الانسان بالصور الملونة ! ٠

فيصور الانسان (الأول) أنه كان ٠٠٠

شبيها بالقرد تماما ! منحنى القامة ، ضيق العقل ، ويستدل على ذلك بصور الجماجم التى يدعون أنها لبشر ؟ ويقولون أن هذه أدلة علم الحفريات ! ٠

ثم ينتقل الى الباب الثانى بعنوان « أجدادنا » فيصور فيه ــ مطلقا العنان للخيال ــ أجداد الانسان بالغباء والضحالة ، واعتمادهم على صيد

الحيوانات البرية وأكل لحمها ، وقطف ثمار الأشجار فى الغابات ! وصراع الانسان مع الحيوان بالصور الملونة ، وكيف كان يستخدم الحجر الحاد فيما أسماه بـ « العصر الحجرى » •

ثم ينتقل الى الحرف التى مارسها الانســان (الأولى هــذا) ، وكيف اكتشف ــ بعد مئات السنين ــ وجود النار ؟ وكيف استخدمها لطهى طعامه ! وتعلم كيف يستأنس الحيــوان فظهرت حــرفة الرعى ، وعرف كيف يزرع [illegible] يتعاون مع غيره •

ثم نشأت المجتمعات البشرية •

ثم يتعرض فى الباب الأخير من الموسوعة الى « التدين » ، وكيف وصل الانسان بمحاولاته من الآلهة المتعددة الى اله واحد للقبيلة دون أى اشــارة الى الاسلام أو الأديان الأخرى ! •

سبحان الله ؟ موسوعة كاملة بالألوان كلها تخمين والاسلام بيننا ؟

ان الله قد أراح البشرية من هذا التخبط عندما أرسل لها الرسل ، فلماذا تتولى دار « عكاظ » العربية المسلمة نشر هذا السخف وتلك الضــلالات الفكرية على المسلمين ! الى متى تسلم دور النشر الاسلامية لغير أمناء ؟

والى متى تدرس أمثال هذه المواد فى جامعاتنا ؟

● **وعلم آدم الأسماء كلها :**

ألم يعلم الأساتذة الأفاضل أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ قد خلق آدم ــ عليه السلام ــ كاملا ناضجا ذكيا ! « والتين والزيتون وطور سنين وهــذا البلد الأمين لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » ، ولقد ورث أبناء آدم جمال الخلقة والذكاء العقلى والمهارات والاستعداد لتعلم اللغات والحرف من أبيهم آدم ! •

لقد أخبرنا الله ـ وقوله الحق ـ أنه بعد أن خلق آدم علمه الأسماء كلها « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة » يقول المفسرون : علم الله آدم جميع الأسماء ..

المعنويات والمتخيلات والمحسوسات والمركبات ! .

فهل كان آدم يعرف اللغات والصنائع المختلفة ؟ هل كان يعرف الثياب والمبنى ؟ كيف كان يصنع غذاءه ؟ ومن علمه كل هذا ؟ .

أخرج الامام السيوطى فى كتاب « أصول اللغة » عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها » قال : « علمه فى تلك الأسماء ألف حرفة مما يحتاج أولاده اليها ، كما علمه الألسن (اللغات) من العربية والسريانية والعبرانية وغيرها وعين أسماء الأشياء بأنواع الألسن ، فكل شىء سماه آدم فهو اسمه الى يوم القيامة . ثم تفرقت الحرف والألسن فى أولاده وبقيت الحرف قرنا بعد قرن ، ثم نسبت بعد ذلك كل حرفة الى من بدت منه وتعينت على يده ، كالكتابة والخياطة على يد ادريس عليه السلام ، وصنعة درع الحرب لداوود » ..

وفى تفسير سورة الحديد عند قوله سبحانه « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » أن آدم هبط من الجنة ومعه الابرة والمطرقة والسندان وغيرها .

هذا ومعروف لدى العلماء أن جبريل عليه السلام نزل مع آدم عندما هبط على الأرض فعلمه كيف يزرع ، وكيف يرعى ؟ وكيف يستر عورته ، وكيف يعمر الأرض ويستخرج كنوزها ليكون بحق خليفة الله فى أرضه .

● ثمار الدنيا وثمار الجنة :

وعن أبى سعيد وأبى موسى الأشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لما خرج آدم من الجنة زوده الله من ثمارها ، وعلمه صنعة كل

شيء ، فثماركم هذه من ثمار الجنة • غير أن هــذه تغيرت وتلك لا تتغير »
(الأوائل للسيوطى) •

وعن كعب الأحبار : « لما أهبط الله تعالى آدم عليه السلام جاء ميكائيل بحب الحنطة (تشبه القمح) فقال هذا رزقك ورزق بنيك ، قم فازرع فلما زرع صار الحب كبيضة النعامة ، ثم نقص بعد عصيان الناس قرنا بعــد قرن » ! ثم حصد وطحن وعجن وخبز فى الحال ليعلمه •

وآدم كان يلبس حلة من الجنة وعندما هبط منها كان عليه من ورقها ، ثم صنع لبنيه من جلود الأنعام ثيابا •• حتى كان ادريس فنســج الصــوف بمغزل وخاط الثياب وأول بناء على الأرض لم يبنه آدم ، انما بنته الملائكة ، وحج اليه آدم قال تعالى : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين » (آل عمران : ٩٦) •

● سفينة نوح :

ونوح عليه السلام ، وقد أمره ربه بأن يصنع السفينة « واصنع الفلك بأعيننا ووحينا » لابد وأنه استخدم آلات لقطع الأخشاب وعــرف مسامير الحديد ، وسفينة نوح كانت من السعة بحيث تتسع لكل أنواع المخلوقات على الأرض « وقلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين » •

ومعروف أن نوح عليه السلام بينه وبين آدم ألف سنة ؟ •

(ذكره أبو الليث فى تفسيره ونقله السيوطى عنه) •

● أول جريمة قتل :

وأصدق من هذا ما ذكره الله سبحانه فى قرآنه الكريم (سورة المائدة : ٢٧ ــ ٣١) وهى قصة أول جريمة قتل بين بنى آدم حيث يقــول ســبحانه « واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين » ، وبعيداً عن تفصيلات

الجريمة ، فالذى يهمنا فى موضوعنا هذا هو « القربان » الذى قدمه أحدهما فتقبله الله ، و « القربان » الذى قدمه الثانى ولم يقبل منه ؟

يقول المفسرون : قدم هابيل كبشامن أفضل الغنم (أى أنه كان راعيا يعرف كيف يستأنس الحيوان !) ؛ وقدم قابيل سنابلا من قمحه (أى أنه كان زارعا حاصداً ، يعرف كيف يزرع ويسقى ويحرث ويحصد ويطحن ويعجن ويخبز •• الى آخر الحرف) •

● اكذوبة العصر الحجرى :

وخلاصة هذا كله :

أنه لم يكن هناك ما يسمى « بالعصر الحجرى » ، ولم يكن الانسان يوما غبيا ! ، بل ان هناك علوما كانت أكثر تقدما من علومنا الآن واندثرت ، ولا نعرف عنها شيئا نذكر منها فن التحنيط ، وفن بناء الهرم بالتفريغ الهوائى والكهانة والسحر الأسود وكثيرا من أنواع العلاج فى الشرق ، أى أن آدم كان نبيا ذكيا يعرف أن النار تحرق ، ولم يكن محتاجا الى أن يخبط حجرين فى بعضهما ليولد شرارة ؟ ! •

وكان يعرف أن هناك حيوانات أليفة للرعى ، وأخرى برية لا تستأنس ولا يؤكل لحمها ! •

ولم يكن هناك ما يدعو لاستخدام الأحجار الحادة للقطع ، فالله سبحانه أنزل الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس منذ بدء الخليقة الى قيام الساعة !

● عصر العلم :

وأعتقد أن الذكاء يقل عند الناس ، كما تقل قدراتهم على الحفظ والنقل، وها نحن نرى علماء متخصصون فى جزئيات من فروع المعرفة •• غير أننا نقرأ عن علماء كانوا موسوعات علمية فى الطب والفلك والفقه والقرآن وعلوم شتى ! عكس ما يقوله بعض الناس من أن الانسان يتفتح ويزداد ذكاؤه ؛

غير أنه يمكن القول بأن العلم قديما كان فرديا ، وصار اليوم جماعيا مما أوجد النفع والتطبيق .

ولم تتخبط البشرية فى الجاهلية الا فى فترات بعدها عن تنزيل الوحى ، فقد عرفت التوحيد منذ بعثة آدم عليه السلام نبيا لبنيه ، وما عرف الفلاسفة الكلام فى الألوهيات الا تأثرا بالوحى والأنبياء فى هذه الأزمنة السحيقة .

أما الأماكن التى خلت من النبوة فهى تلك التى كانت ــ ولاتزال ــ تهوى فى ضلالات الشرك والهوى . ولن تصل يوما الى توحيد الآلهة ــ كما يزعم أساتذة التربية ــ ودولة الهند مثلا واضحا .



حول تدريس التجارة والاقتصاد

من منظـــور اســـــلامى

كانت قضية الحلال والحرام هى التى تضبط كل المعاملات الاسـلامية (الداخلية والخارجية) على مسنوى الفرد وأيضا على مستوى نظام الدولة .

فعلى مستوى الفرد :

كان يشترط فى البائعين والتجار أن يكونوا على معرفة بالحلال والحرام وأنواع الربا ، فقد كانوا على علم يختلف كثيراً عما يدرسه الطلاب فى كليات التجارة والاقتصاد ! ومعروف فى التاريخ كيف قام التجار المسلمون بنشر الاسلام مع تجارتهم فى صقلية وقبرص والهند وبلاد الحبشة وجنوب أفريقيا وغيرها :

وهيمنة الاسلام على معاملات الأفراد من أهم سمات هذا الدين ، والذين يعزلون علوم التجارة والاقتصاد عن الاسلام ويظنون أن الاسلام لا شـأن له بالحياة فقد جهلوا كتاب الله الذى أحل الطيبات وحرم الخبائث وحـرم التعامل بالربا .

لقد كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يمشى فى الأسواق يراقب حركة البيع والشراء ، ويمنع الظلم والاعتداء حتى عاب عليه اليهود « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق » وفى صحيح مسـلم : أنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ مر على رجل يبيع حبوبا ، فوضع الرسول يده داخل الحب فابتلت ، فقال : ما هذا يا صاحب الحب ؟ .

قال : أصابته السماء (يعنى المطر) ، فقال الرسول : هلا كشفته للناس ؟

ثم قال : « من غشنا فليس منا » ، وصارت قاعدة أصولية ، فمن غش المسلمين فليس منهم سواء كان الغش فى التجارة ، أم فى الامتحانات أم فى غيرها .

ثم سارت الخلافة الاسلامية الراشدة على هذا النهج ، فهذا عمر ابن الخطاب يمر بالأسواق ، يضرب الناس بالدره (جلدة) ويقول : لا يبيع فى سوقنا الا من يفقه ، من لم يتعلم الربا وقع فيه شاء أم أبى .

وهذا الامام مالك يأمر الأمراء فيجمعون له التجار من السوق ويعرضونهم عليه فيسألهم ، فاذا وجده بائعا لا يعرف الحلال والحرام أبعده عن السوق وقال له : تعلم أحكام البيع والشراء ثم أجلس فى السوق ، فانه من لم يكن فقيها أكل الربا شاء أم أبى (١) .

ثم صاغ الفقهاء علما مستقلا لفقه البيوع والمعاملات فى الاسلام فى أيام الدولة العباسية ، بيد أن هذا العلم دخل فى تفريعات ومسائل لم يعد لها وجود الآن ومن ثم انصرف الناس (بعد اغلاق باب الاجتهاد) الى معاملات اليهود والبنوك الربوية الأوروبية .

وكما سنذكر فى « تجديد علم الفقه » من أن العبادات كملت لا اجتهاد فيها ، ويجب أن تجمع للطلاب فى كتاب واحد صغير يجمع الصحيح من أحاديث رسول الله ويبتعد عن الضعيف وعن الخلافات المذهبية التى لا ضرورة لها الآن عند الناس بعد ما شغلتهم الدنيا وصراع الحياة !

أما « المعاملات » فيبقى باب الاجتهاد فيها مفتوحا حسب القواعد الأصولية لما يستجد من أحداث ، فليس معقولا أن يدرس الطلاب المسلمون فى كليات التجارة مواد المحاسبة والبنوك والدفاتر ولا يدرسون الحلال والحرام وفقه المعاملات ؟ .

لقد جنينا من النظام الأوروبى فى تعليم التجارة تخريج شباب عقيم

---

(١) الاحكام السلطانية للماوردى .

لا مبادىء عنده ، يقبل الرشـوة ويتعامل بالربا ، وها هى الصحف تطالعنا بمشرات من حوادث الاختلاس والتزوير ، فقد حرمنا أولادنا صمام الأمان ، وظنوا ــ جهلا ــ أن الدين لا شأن له بمعاملات الناس !

على أن المنهج الجديد ينبغى أن تندرج تحته المواضيع الجديدة ومناقشتها بما يقنع الشباب بصحتها ويقوى حجتهم فى الوقوف أمام التيارات الفكرية القادمة من الشرق والغرب وتوضيح افتراءات الجهلة كمن يقول :

أن الفائدة على المال ليست ربا لأن المصارف لم تكن موجودة فى عهد الرسول ؟ ! ومن يقول : بعالمية النظام الربوى للبنوك وضرورة التعامل به فى المعاملات الدولية ؟ وهناك مبادىء نظم بها الاسلام أمر الحلال والحرام :

فالأصل فى الأشياء الاباحة ما لم يرد نص بالتحريم ، والتحليل والتحريم حق الله وحده ، وتحريم الحلال وتحليل الحرام (كما يحدث من كثير مـن الناس هذه الأيام) قرين الشرك ، بل هو من أكبر الكبائر ، وفى الحـلال ما يغنى عن الحرام ، فهناك البديل الاسلامى للبنوك الربوية ومعاملاتهـا ؛ كنظام المضاربة الاسلامية والمشاركة الاسلامية والمشروعات التعاونية وغيرها .. ولماذا ندافع عن نظام ربوى ثبت فشله عند أصحابه ؟ .

والمسلم يجب أن يتربى على الأمانة وكراهية الحرام والحـذر منـه ، فما أدى الى حرام فهو حرام ، والتحايل على الحرام حرام ، والنية الحسـنة لا تبرر الحرام (١) .

● الاقتصاد الاسلامى مميز :

والاقتصاد الاسلامى ــ ولله الحمد ــ أصبح اليوم علما بارزا ، لا يستقى مادته من الاقتصاد الشرقى الشيوعى أو الاقتصاد الرأسمالى الغربى ، وله

---

(١) الحلال والحرام فى الاسلام د. يوسف القرضاوى ــ مكتبة وهبة ــ مصر ١٩٨٠ .

معاهد خاصة فى بلاد كثيرة وبقى أن ندعوا الله فيعمم مناهجه جميع الدارسين المسلمين .

فالضمير الغربى يرى أن تجارة الخنازير والكلاب وبعض أنواع الميتة من عناصر الاقتصاد وموارد الدولة ؟ كما يرى أن الخمر عنصراً رئيسيا كذلك ، ولا يرى غضاضة فى تجارة الأصنام (التماثيل والتحف الفنية) والاسلام يحرم كل هذا ! .

والضمير الغربى يرى أن الحرية الجنسية مكفولة بالقانون ، والكسب من الزنا والقمار مباح .. والملاهى الليلية مصدر كبير لضرائب الدولة ؟ والاسلام يحرم ذلك ؟

وفى المعاملات حرم الاسلام الغرر (الخداع فى التجارة والغش) واحتكار السلع لرفع أسعارها كما حرم المضاربة بالمال وتطفيف الكيل ، وحرم المراهنة « المراهن كالمقامر والمقامر فى النار » ولكن الضمير الغربى يقبلها ويحميها ! .

وقد استجدت أنواعاً من الكسب الحرام وجب اضافتها للمنهج :

فبيع أدوات الموسيقى وشرائط الأغانى والفيديو والسجائر حرام عملا بالقاعدة : كل ما يؤدى الى حرام فهو حرام ، وصدق الله اذ يقول : « ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين » (لقمان : ٦) .

كما لا يجوز الدعاية والاعلان عن الحرام كالدعاية للأفلام والمسرحيات بصور خليعة !

● عناصر هامة لمنهج الاقتصاد الاسلامى (١) :

وفيه ثلاثة بديهيات :

---

(١) كتاب الاسلام ـ الشيخ سعيد حوى .

أولا : أن المساواة التامة بين الناس فى شئون التملك مستحيلة .

وثانيها : ليس صحيحا أن تكون الدولة مالكة لكل شىء وأن يكون (كالرأسمالية) .

وثالثها : ليس صحيحا أن تكون الدولة مالكة لكل شىء وأن يكون الشعب كله أجيراً (كالشيوعية) .

والطرق المحظورة وغير المشروعة فى التملك كثيرة ، منها الربا والقمار واليانصيب (الخيرى) ، والسرقة والرشوة والاختلاس والاحتكار والغش والعقود الفاسدة .

وحل المشاكل الاجتماعية الاقتصادية عن طريق نظام الزكاة والصدقات والأوقات وخمس الغنائم والركاز ، أما واردات بيت المال (خزائن الدولة) فتشمل : خراج الأرض (الانتاج الزراعى) ، العشور والجمارك ، وايرادات الأملاك العامة من ظاهر الأرض وباطنها (البترول) والضرائب والغرامات والأوقاف .



حول التدريس فى كليات الحقوق

تدريس القانون الفرنسى فى كليات الحقوق يحجب عن طلابها رائحة الحق ، وذكرى القضاة المسلمون الذين سطروا بعدلهم صفحات مشرفة من تاريخ العدل والقضاء فى العالم .

ولا يدرس طلاب الحقوق آدب القضاء والتقاضى ، كما لا يدرس طالب الطب آداب الطبيب المسلم ، كما لا يدرس طالب التجارة فقه المعاملات فى الاسلام والحلال والحرام !

والأنظمة الأوروبية فى التعليم المصرى لا تسمح للاسلام أن يطل برأسه على الجامعة .. انما عملية التقاضى كلها عملية « فهلوة » تعتمد على ذكاء المحامى ومدى التفاهم مع القاضى .

والقضاة أيضا لا يختارون بشروط اسلامية .. انما يشترط الحفظ والتفوق لمواد القانون الفرنسى للتعيين فى سلك النيابة الذى يتدرج منه القاضى .

ومن هنا تصير أحكام القضاء ظلما فى ظلم .. ومن أين يأتى الحق والعدل ونحن لم نشغل أنفسنا بذلك ؟

حتى اجراءات التقاضى تسمح هى الأخرى بضياع الحقوق بتقادم الزمن حينما يموت أصحابها كمدا وظلما .. فالقضية لا يحكم فيها الا بعد سنوات من الترافع والتأجيل والنقض والابرام .

يقول صلوات الله وسلامه عليه : « قاض فى الجنة وقاضيان فى النار » (صحيح الجامع الصغير) ثم أوضح قائلا : أما القاضى الذى فى الجنة فرجل

عرف الحق وحكم بالعدل ، وأما القاضيان اللذان فى النار ، فأحدهما لم يتحر الحق ، فحكم ظلما ، والثانى : عرف الحق وحكم بغيره •

والقاضى : يطلق على كل من حكم بين اثنين ، فكل مسلم يمكن أن يكون قاضيا ، ولو بالاصلاح بين أولاده •• أو الاصلاح بين اخوانه وأهله وجيرانه•

والاصلاح بين الزوجين أيضا يتطلب الحكم فى قوله سبحانه : « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما » (النساء : ٣٥) •

٢ ـ ولو أننا احتكمنا الى شرع الله :

لما وصلت هذه الحالات من الطلاق الى المحاكم ، ولتم التوصل الى اصلاح أكثر من نصفها •• لكنه الجهل بأحكام الله •

ويشترط فى الحكمين شروط أهمها حسن النية والمقصد فى الاصلاح •

وفى مصر الاسلامية ـ كما فى غيرها انحرف مسار القضاء لانحراف أصله ، فما بنى على باطل فهو باطل ، فمثلا فى مصر تم تزوير حوالى ١٦٠ قضية من قضايا المخدرات خلال عام ١٩٨٥ فقط •• بل ان هناك موجه من أفلام البراءة تتحدى القضاء فى أحكامه [١] •

فمثلا عندما حكم على ملحن (يفتح بيته للزنا والخمور والرقص وأخيرا القتل) بالسجن لمدة سنة قام مخرج بعمل فيلم « القتيلة العارية » يظهر فيه أن الملحن المذكور ملاك طاهر •• وأن القضاء ظالم •

وكذلك عندما قبض على ممثلة تدمن المخدرات (مثل بقية الممثلين الذين يظهرون فى الحفلات العامة وهم يترنحون من الخمور والمخدرات تحديا لأخلاق الناس) ، ووجد فى بيتها أدوات الشم ، ومن قبل قتلت رجلا بريئا ، قام شقيقها بتقديم فيلم « ابن تحية عزوز » يثبت فيه براءتها وادانة القضاء •

---

(١) جريدة الأمة المصرية ٢٠ ـ ٩ ـ ٨٦

وكنا نود من القضاة أن يثوروا لكرامتهم • وكنا نود من نقابة المحامين أن تتصدى لهذه المهزلة حيث كان الفيلم يعرض (خلال عام ١٩٨٦) فى١٧دار عرض سينمائى فى مصر بعبارة : « الفيلم الذى راحت ضـحيته ••••• » وكأنها زعيمة سياسية •

لقد قبض على جماعة تتكسب من القمـار كل ليلة ما يزيـد على الألف جنيه ، ثم قام محام كبير يترافع عنهم بحرارة المال الحرام •• وبجرأة على الحق لا مثيل لها حتى فى عصور الانحطاط •• ليثبت أن الكسب من القمار مشروع وحلال لا غبار عليه ؟ ويحكم القاضى بالبراءة (خلال عام ١٩٨٤)

ماذا نقول لأبنائنا عن لعب الميسر ؟ هل الكسب منه حرام أم حلال ؟

راقصة قبض عليها ترقص عارية فى مكان عام ويترافع عنها محام كبير ، ليثبت أنها لم تخطىء لأن القانون لا يحدد أوصافا لملابس الرقص ولا شروطا •• ثم يحكم القاضى لها بالبراءة ؟

وهكذا يزيد عدد الراقصات فى مصر (تحت حماية القانون) ويتضاعف عددهن عدة مرات خلال السنوات الأخيرة ، ومنهن مـن هى حاصـلة على مؤهل جامعى ••

وتتحد الراقصـات أخيراً •• ويقررن قانونا ينظـم المهنة وتنشر جريدة الجمهورية (٢٢ / ١ / ١٩٨٧) خبراً يقول : « رفع لقب راقصة من جوازات السفر على أن توضع كلمة « فنانة » •

بعد اجتياز الاختبار أمام لجنة مكونة من (تحية كاريوكا ــ سامية جمال ــ نجوى فؤاد) حتى تتغير النظرة الى من تحترف الرقص فى العالم العربى ، باعتبار لقب « فنانة » أشمل ؟ •

وهكذا يكون الرقص شرعيا •• وشريفا وحلالا (كما تقـول الجرائد والسياسيون) وبدلا من أن تعمل خريجة الجامعة بمرتب ٧٠ جنيها فى الشهر يمكنها أن تعمل راقصة بمبلغ لا يقل عن ١٠٠ جنيه فى الليلة ؟

وسياسة انتشار الراقصات فى المجتمع يتبعها انتشار اللصوص والمهربين وتجار المخدرات والمختلسين لتتم دائرة الفساد ، اذ من يدفع للراقصة كل هذا الأجر المرتفع (وصل أجر أحداهن فى ليلة رأس السنة ٣١/١٢/٨٦) الى حوالى ستة آلاف جنيه فى الليلة الواحدة .

وهكذا تطالعنا الجمهورية فى عدد الخميس ٢٩/١/١٩٨٧

بتحقيق حول « مليونيرات الحرام » الذى يقدر عددهم فى مصر حوالى ٧٥٠ ألفا ؟ من تجار مخدرات ومهربين وتجار عملة أجنبية ومؤلفين ومنتجين سينما ولصوص أراضى الدولة وغيرهم ممن يرتعون فى بلادنا فى غفلة القضاء .. ثم نشتكى الفقر والديون الثقيلة ؟ .

والى متى نعانى من هذا الظلم وكثرة اللصوص وخراب البلاد ؟

الى أن تتحسن مناهج التدريس فى جامعاتنا ومدارسنا ، الى آن يدرس طلابنا شروط القاضى وصفاته .

حتى الفقيه الذى تتوفر فيه شروط القضاء كان يفر من القضاء خوفا من الله تعالى ، فقد عرض أبو جعفر المنصور ــ الخليفة العباسى ــ منصب قاضى القضاة على الامام أبى حنيفة ، لكنه رفض وحاول الخليفة اجباره على ذلك ، فأصر أبو حنيفة على الفض ، فحبسه حتى مات فى الحبس ؟ ومن قبل أبى حنيفة ، فقد رفض منصب القضاء علماء أجلاء (اشفاقا على أنفسهم من عذاب الله) منهم عبد الله بن عمر عندما طلب منه أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، كما اعتذر سفيان الثورى وغيرهم ممن عرفوا تبعة المنصب وهوله !

كتب عمر بن الخطاب الى أبى موسى الأشعرى (واسمه عبد الله ابن قيس) رسالة جمع له فيها آداب القضاء قائلا :

« ان القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم اذا أدلى اليك ، فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له ، وآس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك (أى ظلمك) ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ،

والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً أحل حراما أو حرم حلالا ، ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت اليوم فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك أن ترجع الى الحق ، فان الحق قديم ، والرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل .

الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة ، ثم أعرف الأشباه والأمثال وقس الأمور بنظائرها ، واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمداً ينتهى اليه ، فان أحضر البينة أخذت له بحقه ، والا وجهت القضاء عليه ، فان ذاك أبلغ للعذر وأجلى للعمى .

والمسلمون عدول بعضهم على بعض ، الا مجلودا فى حد أو مجربا عليه شهادة زور ، أو ظنينا فى ولاء أو نسب ، فان الله سبحانه تولى منكم السرائر ، ودرأ عنكم الحدود بالشبهات ، واياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم ، والتنكر عند الخصومات ، فان الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر ، ويحسن الذكر ، فمن صحت نيته وأقبل على الناس كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله ، فما ظنك بثواب عند الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام .

هذا هو دستور القضاء فى كل زمان .. يتحلى به القاضى .. ويذكر موقفه يوم القيامة أمام ربه متذكراً حديث الصادق المعصوم « القضاة ثلاثة : اثنان فى النار وواحد فى الجنة ، قاض عرف الحق وقضى به فهو فى الجنة ، وقاض قضى بجهل فهو فى النار ، وقاض عرف الحق فجار فهو فى النار » وفى بعض الروايات قالوا : فما ذنب هذا الذى يجهل ؟ قال : ذنبه أن لا يكون قاضيا حتى يعلم . (صحيح الجامع الصغير) .

ولنا أن نسأل المحامين والقضاة :

١ ــ اذا علم القاضى أن القانون غير اسلامى فهل يشارك فى القضاء ويستمر فى عمله أم يعتزل ؟ .

٢ ــ ما هو دور المحامى الآن فى القضايا السابقة ؟ لهل ينطبــق عليــه الحديث السابق ؟ وهل للمحامى أصل فى تاريخ القضاء الاسلامى والتقاضى أم هو بدعة من الغرب ؟

٣ ــ أين ذكاء القاضى وحيلته للتعرف على الحقيقة الغائبة ؟ وأين القضاة الذين لا يخافون السلاطين ؟ وهل عندنا قضاة نابغون يشهد لهم التــاريخ كشريح القاضى وأبو يوسف ومعاذ بن جبل ؟

* * *

حول التدريس فى كليات الهندسة

أين الهندســـة الاســـلامية ؟؟

اعداد المهندس المسلم بفكره وعقيدته يختلف تماما عن المهندس فى أى مكان من العالم ! وكثير من الناس لا يرون ذلك ، فالانشاءات والكبارى والأنفاق والعمارات العالية والماكينات أشياء حضارية لا دخل للدين فيها •• فهى أفكار موحدة فى جميع بلاد العالم مهما اختلفت دياناتهم ؟

والحساب والأرقام واحدة لا خلاف عليها ، فهى من مسلمات العقول ، ولكننا نختلف فى التنفيذ والتطبيق فعندنا يجوز ولا يجوز حلال وحرام •• يعرف ذلك المهندس المسلم عقيدة وفكراً والتزاما !

ولما كانت التطبيقات تختلف وجب تدريس هذه الأشياء من وجهة نظر اسلامية تعرف الفضيلة وتحقق الكمال ولنضرب أمثلة على الاختلاف :

فى هندسة المبانى :

فالتصميم الهندسى فى المبنى الاسلامى يختلف عن المبنى الأوروبى •

فالدار الاسلامية يراعى عند تصميمها أشياء أهمها الوضـــع بالنســـبة للشمس (حتى تكون صحية) ، والوضع بالنسبة لقبلة الصلاة ، وتقســـيم حجراتها أيضا يختلف ، فحجرات الحريم (النساء) لها ستر يختلف عن الزجاج الكاشف لما وراءه •• وتتصل بها دورات مياه خاصة ! كما تشـــتمل على أماكن للضيافة والمبيت تختلف عن (الصالونات) الغربية •

والمرحاض الأوروبى فى دورة المياة لا يتناسب وأخـــلاق المســـلم ولا جلسته الصحيحة لقضاء الحاجة •• فقد يباح للضرورة وذلك للمرضى ••

واحتمال انتقال النجاسة منه للبدن والثوب قائم .. وهو يسبب الشك للمسلم الحريص على طهارته وصلاته ..

كما أن الاستنجاء الشرعى باليد اليسرى فيه غير ممكن ..

وانتقال الأمراض الجلدية شائع بسببه ، كما أنه يمكن أن يسبب مرض الباسور ..

فوجوده فى بيت المسلم بلا ضرورة ترف مرفوض .. كما أن وجوده فى الأماكن العامة (كالمدارس والمستشفيات وغيرها) .. يدل على سوء التخطيط .

وارتفاع المبانى ـ أو التوسع الرأسى فى البناء ـ لا يتفق وعقيدة المسلم وأخلاقه ..

وفى الحديث الصحيح عن علامات الساعة « أن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان » (رواه مسلم) وعلامات الساعة تدل على اتجاه البشرية للأسوأ ، وأورد أبو بكر الخوارزمى حديثا : « اذا ارتفع البناء فوق عشرة أذرع نادى مناد فى السماء يا عدو الله أين تريد » (مفيد العلوم) .

وقد ورد أن عمر بن الخطاب عندما دخل القدس ليتسلم مفاتيحها (وكان أسمها ايليا) شاهد وجوه جنود المسلمين مصفرة ، فسأل قائدهم : « ما الذى غير لون العرب » ؟ فقال : جو المدائن يا أمير المؤمنين .

(والمدائن : عاصمة الفرس ، وكانت مبانيها مرتفعة وشوارعها ضيقة) .

فأمره عمر بن الخطاب أن يبنى للجند مدينة ، وأن يوسع فى شوارعها سبعون ذراعا ، وألا يرتفع البناء فوق عشرة أذرع (مقدار ثلاثة طوابق الآن) ، وألا يبنى أحد جداراً فى داره حتى لا يحجب الشمس عن جاره (١)

---

(١) محاضرات فى العمارة الاسلامية د. كمال الدين سامح معهد الدراسات الاسلامية ـ القاهرة ١٩٨٤ .

فهذه هى المدينة الاسلامية (فى التخطيط الهندسى) تتميز بوسع شوارعها وزروعها .. ولها طابع خاص فى البناء .

والارتفاع الرأسى له أضرار كثيرة : فمرافق المدينة لا تعمر طويلا من الضغط الشديد ، كما تنتشر الرطوبة فى المبانى ، الأمر الذى يحمل الأجساد بالأمراض ، وفى فوضى المبانى التى تعيشها كثير من البلاد الاسلامية بلا تخطيط تغطى العمارات بعضها على بعض فلا شمس ولا هواء ، ولهذا تنشر الأمراض سريعا بينها ؛ كما تنهار سريعا مسببة خسارة كبيرة فى الأرواح والأموال .

وقد تكون « ناطحات السحاب » فى بلاد الغرب ضرورة لصد الريح والثلوج ولكنها لا تناسب المناخ الحار ، كذلك قد تكون الواجهات الألومنيوم ضرورة لتجميع الحرارة فى البلاد الباردة ، لكنها تكون ترفا فى الدول الدافئة التى لا يناسبها الأرضيات الخشبية (الباركيه) ولا ورق الحائط ..

أيضا المبنى الاسلامى مرتفع الجدران لا تشعر فيه باختناق ، لكن فى المبنى الأوروبى تضيق الأسقف (حوالى مترين) للتمكن من بناء مزيد من الطوابق ..

فالتميز فى البناء ضرورة تفرضها العقيدة والأخلاق ، ويفرضها الوضع المناخى الجغرافى والتقليد هنا لا ينفع ..

ويجب أن يراعى فى التخطيط الهندسى لمدرسة أو مصنع أو مستشفى اسلامى وجود مسجد بداخلها ..

ولكن المهندسين المسلمين قليلا ما يفكرون فى ذلك ، بينما يحرصون على وجود مسرح أو قاعات اجتماعات أو ملاعب يقصد منها مجرد اللهو .

* * *

فى الهندسة الالكترونية أو هندسة الاتصالات

فنحن لا نستخدم « الكمبيوتر » للعب والتسالى •• حتى لا تضيع أعمارنا ••

كما أن استخدام الانسان الآلى •• لا يناسب الدول الاسلامية •• ذات العدد الكبير ••

وذلك لأنه سيحدث بطالة بين أبنائها (كما حدث فى بعض الدول الأوروبية التى أدخلت التطورات الحديثة فى مصانعها) •• كما أن هذه الأجهزة غالية الثمن ••

واعتمادنا كلية فى أرقامنا وحساباتنا ومعلوماتنا على العقل الاليكترونى ••

فيه تعطيل لطاقات العقل البشرى •• كما أن بعض الأجهزة تخطىء رغم ما يشاع عن دقتها •• اذن فلا ضرورة لادخاله مدارسنا الا على سبيل الاستعانة فى بعض الظروف ••

واذن هناك فرق بين الدراسة والتطبيق ••

يجب علينا أن ندرس هذه الأشياء ، والتطبيقات العملية لها •• أما الاستخدام فعن علم وحذر •

أيضا فى مجال هندسة الاتصالات (الأقمار الصناعية والارسال التليفزيونى) •

فهناك حربا شرسة على الاسلام والمسلمين من هذه الناحية ••

وأى تقدم تحرزه الدول الاسلامية فى مجالات الاتصالات الالكترونيات هو نصر لا يقل عن نصر المعارك والحروب ٠

والأرصدة التى تعتمدها القيادة الأمريكية لهيئة أبحاث الفضاء تدلنـا على خطورة ما يحاك فى الظلام ٠٠ فقد مضى زمن الاحتلال العسكرى وجاء زمن الاحتلال الفكرى للعقول عن طريق البث التليفزيونى من الفضاء ! ٠٠

ولن نتحـدث عن الطيران وأجهـزة الرادار والتشـويش والتصـنت والاستشعار عن بعد (أواكس) A. O. X والتصوير من بعيد ٠٠ فهى أكثر من أن يستوعبها عقل ٠٠

لكن الذى نريده أن يكون طالب الهندسة أكثر من غيره استيعابا لمصير الدول الاسلامية فى ظل عصر الالكترونيات ٠

ان الدول الكبرى تهدف لاستعمار العالم وجعله تابعا لها ، وان أظهرت الديبلوماسية والابتسام وموائد الغذاء والعشاء التى تقام تكريما لقـادة الدول النامية ؟ ٠

والرحلات الأخيرة لمكوك الفضاء الأمريكى ـ مثلا ـ كان من أهدافها الرئيسية بث برامج ثقافية (محددة) فى محطات الأقمار الصناعية التى تدور حول الأرض وترسل موجاتها الى سـكان المعمورة (كنقـل مباريات كأس العالم ٠٠ وزيارات الرؤساء وغيرها من أحداث البلاد التى ينقلها التليفزيون فى نشرات الأخبار) ٠

وقد تم اعداد أجهزة استقبال (هوائى) لاستقبال هـذه البـرامج ٠٠ يمكن تركيبه فى أجهزة التليفزيون العادية ٠٠ وهكذا يمكن مشاهدة الأفلام العارية والفاضحة ٠٠ و برامج التبشير المنوعة فى تليفزيوناتنا (لجميع دول العالم) ٠٠ وهذا هو الاحتلال القادم ؟

طالب الهندسة وقضية الانبهار :

وقد لا يتسنى لباقى المثقفين أن يطلعوا على ما وصل اليه العالم حولنا كما يتاح لطالب الهندسة ! ولكننا نحذره من الانبهار بهذه الاختراعات أو الانخداع بها فهى عرض زائل لا محالة .

وليضع المسلم فى اعتباره عدة اشياء :

١ ـ أنه اذا كان العقل البشرى قد وصل الى كل هـذه الانجازات .. فلابد أن يكون حسابه عسيرا .. فهو ليس بالشىء البسـيط .. وأن الله محاسب الناس جميعا على قدر عقولهم .

٢ ـ اذا كانت الحضارة الحديثة قد شملت كل هذه الأنواع من الترف والتكييف والاتصال والمتعة والحركة .. بما يوحى للانسان بالراحة التامة فى كل شىء .. هذا من صنع البشر والله سبحانه أعد للمؤمنين فى الجنـة أكثر من هذا .. « ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وأن نعيم الجنة دائم بينما نعيم الدنيا يزول .

٣ ـ أنه بالرغم من كل هذه الأعمال العجيبة .. فان العقول لم تعمل بكامل طاقاتها بعد .. والخلايا الكامنة فى عقل الانسان أكثر من أن تحصى .. والانسان لا يهزمه سوى الموت ..

٤ ـ الذين احترموا عقولهم وفضلوا التجريب والتفكير وانطلقوا الى ملك الله فى الفضاء وأعماق البحار .. يحثونا على أن ننطلق أيضا ولا ننام .. ولا نوكل تخلفنا للقدر .. وأن الانبهار وحده .. (دون عمل) قد يؤدى الى توقف ملكات المنبهر أو يأسه ..

٥ ـ أنه بالرغم من كل هذا .. فالمسلم هو الأفضـل عنـد الله مادام متمسكا بدينه .. وأن الحضارة المادية تقتل أبناءها .. وتدمرهم فى ثوان .. وأنهم فى حاجة الى الله ودينه .. لتطمئن أنفسهم وتسـكن شـهواتهم

ولا يقدمون على الانتحار (ثبت احصائيا أن أعلى نسبة للانتحار فى العالم تكون فى الدول الأكثر تقدما كالسويد مثلا) ، والدنيا كلها تفتح أحضانها للداعية المسلم المثقف •• متعطشة الى الدين والخلق ••

وليس كما يظن البعض من أن نترك ديننا ونندفع وراء الاختراعات •• فانه مهما فعلنا لن نصل الى ما وصلوا اليه •• فقد سبقونا بعشرات السنين •• ولكننا يمكن أن نقودهم بالأخلاق والحكمة والروحانية التى اصطفانا الله بها •• ان كان مع ذلك فهم لأسس العلم الحديث ، وهم سيسلمون لنا لانقاذهم •• وسيعطونا ــ وقتها ــ كل ما لديهم من علم بلا حرج •

٦ ــ أن الطاقة الحالية مصيرها الى فناء •• فستنضب موارد البترول•• وتقل موارد الماء •• والعالم كله يشتكى من مشكلة « التصحر » وبوار الأرض الزراعية لقلة الما ءالعذب •• وستتوقف كافة الأجهزة الحديثة •• ويعود الانسان كما كان بسيطا •• وصدق الله اذ يقول :

« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » •• (الاسراء : ١٦)

ويقول :

« حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس » ••
(يونس : ٢٤)

وهذه اليابان تعلن : سيصل الناس الى وقت تكون فيه الخيارة أفضل من الكمبيوتر ؟ ••

* * *

ويمكن تلخيص ما ذكرناه من أساسيات هندســــــية كما يلى

أولا : عن شروط المدينة الاسلامية عند التخطيط لها :

١ ــ يوسع فى شوارعها قدر سبعون ذراعا (لا يقل عرض الشارع عن ٥٠ متراً) .

٢ ــ ألا ترتفع مبانيها فوق عشرة أذرع .. أى لا تزيد عن ثلاثة طوابق .

٣ ــ يجب أن يراعى فى التخطيط الموقع الجغرافى للمسـجد الجـامع الذى يتوسط الحى ، وأن تكون مئذنته أعلى من البنيان كله .. بعيداً عن البيوت وألا يبنى فوقه شئ .

٤ ــ تتوسطها الحدائق الزاهرة ، كما يشجع السكان على الزراعة حول البيوت لتتميز بالخضرة والهواء النقى وثمار الفاكهة .

٥ ــ يمنع الناس من البناء عشوائيا بلا تخطيط ، وان حدث فيجب ازالة البناء فوراً .. (القضاء على فوضى البناء) .

٦ ــ تبنى بها المرافق العـامة كالمدارس والمسـتشفيات وأماكن البريد والتليفونات وغيرها .. على أن يكون بكل مكان عام مصلى خاص يرتفع فيه الأذان .

(يجب أن يراعى المسجد فى التخطيط للمصانع والأماكن الحكوميـة والبنوك وغيرها) .

٧ ــ يبنى بكل حى دار ضيافة خاصة بالغرباء (السياح) تختلف تماما عن نظام الفنادق الغربى ، وتكون مستعدة لايواء من تهدمت بيوتهم •

٨ ــ يراعى الطابع الاسلامى العام فى المبانى (الطراز العربى) واللون العام الموحد للمدينة مما يضفى عليها جمالا نادراً •

ثانياً : من شروط البيت الاسلامى :

١ ــ أن يحتوى على أماكن خاصة بنوم النساء (والبنات) بعيدة عن حجرات نوم الرجال (حتى الأشقاء) •

٢ ــ أن تحتوى على حجرة أو أكثر للضيافة •

٣ ــ أن يخصص فيها جزءاً خاصاً لصلاة الجماعة (الرجل وأهل بيته) •

٤ ــ ألا تزدحم بالأثاث فذلك ثقل للبيوت يهدد بسرعة تهدمها ، كما يجب ألا تزدحم بالألوان ، فذلك يهيج النفوس ويبعث فيها الكآبة والأمراض النفسية (هكذا يقول خبراء الديكور) •

٥ ــ أن تكون الأسقف عالية (أكثر من ثلاثة أمتار) وأن يراعى فيها الستر للنساء •

٦ ــ تحتوى على المرحاض الشرعى (القديم) ، ويقتصر استعمال المرحاض الأفرنجى للمرضى فقط •

ثالثاً : من عيوب المبانى الحديثة :

١ ــ انتشار الرطوبة وفساد الجو بالروائح الكريهة •

٢ ــ الانتشار السريع للأمراض •

٣ ــ الارتفاع الشاهق يهدد بسرعة تهدمها •

٤ ــ ضيق الحارات وتقارب البيوت يؤدى لكثرة الخلافات بين الأسر • وكذلك انتشار العيوب الاجتماعية •

٥ ــ وجود المرحاض الغربى وأضراره الشرعية والصحية •

قضـــية الألقـــاب الجامعيـــة

والبحث عن بـــديل

مراتب الناس ودرجاتهم فى الاسلام :

جاء الاسلام فسوى بين الناس فى التكليف •• فى الحقوق والواجبات فى العبادات •• فهم يولدون جميعا من طريق واحد ، ويقفون أمام الله فى الصلاة والحج صفا واحداً •• سواسية كأسنان المشط •• لا فضل لعـربى على عجمى الا بالتقوى والعمل الصالح •

أما فى الدنيا :

« فلكل عمل رجال ولكل مقام مقال » •

وقبل أن نرتب الناس الى أمير ووزير •• عامة وخاصـة نضـع هـذه الأساسيات :

١ ـ علاقة الاسلام أقوى من قرابة النسب والدم •

قال تعالى : « قل ان كان آباؤكم وأبنـاؤكم واخوانـكم وأزواجـكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضـونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهـاد فى سـبيله فتربصـوا حتى يأتى الله بأمره » .. (التوبة : ٢٤) .

ولقد حذر الله نبيه من أن يستغفر لأقاربه المشركين :

« ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » (التوبة : ١١٣) .

ففى الاسلام لا يهمنا اللون والجنس قدر ما تهمنا التقوى ، فالمسلمون اخوة وان بعدت أراضيهم والحدود السياسية بين الدول انما هى حدود وهمية •• من وضع الاستعمار لتفريق هذه الأمة •

٢ ــ والتعصب القومى والسياسى جاهلى : وهو من وضع الاستعمار أيضا لاشعال الفتن فى البلاد باثارة العصبية الجاهلية التى طهر الله الناس منها بالدين الحنيف .. فيقول هذا مصرى وهذا عراقى وهذا سورى .. ويتعصب كل منهم لأجداده دون الاسلام •

مثل ذلك التعصب الكروى •• فهذا يشجع نادى كذا •• وذاك يشجع نادى كذا •• وهو اختلاف للهوى والشيطان لا أصل له ، وهى فتنة يروجها الحكام ليسهل لهم حكم الناس ؟ ومثل ذلك التعصب للأحزاب •• وكلها فى النار الا حزب الله « ألا ان حزب الله هم المفلحون » والتفرقة بين أبناء الأمة بعثرة لجهودها •• وليست كما تزعم الديمقراطية ! ••

٣ ــ الاسلام أصل من لا أصل له وشرف من لا شرف له :

فلو أن رجلا دخل فى الاسلام وصدق ، فهو مسلم له ما لنا وعليه ما علينا ••

فالاسلام يمحو ما قبله كما أن التوبة تمحو ماقبلها ، فلا يعير الشيوعى أو المسيحى مثلا •• بديانته قبل الاسلام •

ولا يعير التائب بذنوبه وبحاله قبل التوبة ، مادام قد صدق فى توبته مهما كانت نوعية ذنوبه •

والمسلمون تتكافأ دماؤهم ، يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم حرب على من عاداهم •

رابعاً : لا علاقة للاسلام بالألفاظ المعاصرة :

كالاشتراكية والديمقراطية والقومية وغيرها فالاسلام دين قائم بذاته

يختلف مع هذه المفاهيم فى جوهرها •• فلا يصح أبداً أن نستورد منها شيئا ثم ندافع عنها ، ونجد من يحدثنا عن : « اشتراكية الاسـلام وديمقراطيـة الاسلام وغير ذلك ، فهو خداع فى القول ولبس على عامة الناس » •

خامساً :

حيث أنه لا شرف أعلى من الاسلام ، فانه لا يعرف الاسلام الا بالعلم ، ولهذا فان شرف العلم بالاسلام أعلى من شرف الملوك وحسبهم ونسبهم •• فأى الألقاب يتحاكم اليها المسلمون ويتنادون بها ؟

وهذه أكبر قضية :

الظاهر الآن أن فى جامعاتنا عدة درجات علمية بعد الحصول على الشهادة العالية (بكالوريوس أو ليسانس) بدءاً من المعيـد ثم المدرس المسـاعد (حاصل على ماجستير) ثم المدرس (دكتوراه) ثم الأستاذ المساعد (له أبحاث) ثم الأستاذ وهذه أعلى درجة علمية فى جامعاتنا •

والذى أتعجب له انما هو المساواة بين هؤلاء جميعاً •• كيف ذلك ؟

اذا اعتبرنا أن الاقتصـاد المنزلى علم ، ويمكن الحصـول منـه على « الماجستير » و « الدكتوراه » ونسمع عن الدكتورة (فلانة) تحدثنا عـن المخلل والمربى والمحشى كما تفعله (جدتى) فهل نعتبر كلية الخدم (السياحة والفنادق) هى الأخرى من العلم •• وهل يستوى ذلك و « دكتور » فى الجراحة •• و « دكتور » فى الشريعة الاسلامية ؟

اذا كانت كلية الاقتصاد المنزلى نرتضيها لبناتنا باعتبارها أنسب عمـل للمرأة فى مملكتها أى بيتهـا •• فكيف نرضى لفتياتنا بالتسـابق لدخـول كلية الخدم أو السياحة والفنادق !

وهل يشترط فى رسائلها أن تكون نظرية ؟ أم عملية ونظرية (فى المطبخ مع الأوانى والأطباق) وهل أصبحنا فى زمن العبيـد •• مع تغيير هو أن

العبيد قديما كانوا فقراء جهلة ، أما « عبيد » اليوم فهم مثقفون .. يتحدثون بلغات عالمية .. أغنياء ولهم رواتب كبيرة ؟ .

على أن هذا يتصاغر أمام امتهان أكبر لهذه الألقاب .. حيث يسمح لمغنية أن تحصل على « الدكتوراة » فى الأصوات .. وفى الموسيقى .. فى التمثيل .. فى الفولكلور ؟

فاذا كان كل هؤلاء قد اختاروا هذا اللقب .. فلماذا لا ينأى علماء المسلمين عن المشاركة فى هذه التسوية ؟ .

وقد يكون مقبولا أن يسافر المبعوثون لنيل دراسات تخصصية أعلى فى الطب والهندسة والذرة والاتصالات من جامعات أوروبا .. لأنهم قد سبقونا فى هذه المجالات .

لكن العجب أن يتحاكم المسلمون فى لغتهم العربية وعلوم الدين الاسلامى والتاريخ الاسلامى الى علماء مستشرقين لا يدينون بالاسلام ولا يخفى حقدهم على أهله ؟

والمستشرقون فى « السوربون » لن يبلغوا فى العقيدة والعلم والدقة ما عرفناه من علماء المسلمين الأجلاء مهما قيل عنهم ! حتى يذهب « طه حسين » اليهم لنيل « الدكتوراه » فى فلسفة أبى العلاء المعرى « رهين المحبسين » ؟

كما يذهب المرحوم عبد الحليم محمود (شيخ الأزهر) لنيل « الدكتوراة » فى العقيدة والفلسفة ؟ .

ان هناك من العلماء الأجلاء من رفضوا هذه الدرجة .. بل هم أهل لاعطائها لتلامذتهم فى العالم الاسلامى نذكر منهم أصحاب الفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى والشيخ محمد الغزالى والشيخ السيد سابق والشيخ عبد اللطيف المشتهرى والشيخ سعيد حوى وغيرهم كثير .

ولنا ان نتساءل :

الى متى سيظل هذا التقليد ؟ والى متى سيحرص الأزهر على هذه الألقاب والدرجات العلمية فى التفسير والعقيدة والسيرة والتاريخ الاسلامى ؟

ألا يمكن استبدال « دكتور » بالعالم « والاستاذ » بالامام !

ودرجة « الماجستير » بالفقيه •• والأعلى بالشيخ ؟

* * *

الباب الثالث

نحو تبسيط العلوم الإسلامية
تجديد علوم الدين

١ ـ علم التوحيد (علم الكلام) ..

٢ ـ مادة سنن الله الكونية ..

٣ ـ ضرورة اعادة كتابة تاريخ المسلمين ..

٤ ـ علم الفقه والمذاهب ..

٥ ـ علم التصـوف والتخلف ..

نحو تبسيط التراث الاسلامي
لتوحيد صفوف الأمة
هل يمكن اعادة مجالس العلم فى المساجد ؟

فى بعض البلاد الاسلامية لا تجد المواد الاسلامية العناية اللائقة فى المدارس ، فيلجأ المتعطشون الى الاسلام الى بعض الكتب والتفاسير دون حذر مما يكون بها من ضعيف الحديث وكاذب القصص وتعصب لرأى قد يكون خطأ .

وحتى عندما يذهب العوام الى المساجد لسماع « العلم الذى ندر بالمساجد هذه الأيام » فانهم يصدمون بعدم كفاءة الداعية وقلة علمه ، وتمسكه بأشياء تعد الآن من الترف العلمى ، حيث لم يعد وقت الناس يسمح بالدخول فى الخلافات الفقهية وآراء الأئمة ، كما أنهم لا يتحملون الجدل الذى قد ينشأ حول التعصب لمذهب معين ، وتكون النتيجة انصراف الناس عن المساجد ، وانصراف الناشئة الى اللهو واللعب وتستحيل العلوم الاسلامية صعبة معقدة حتى على الدارسين فى المعاهد الدينية .

ولكن كيف نتعرف على الموضوعات والأكاذيب فى التفاسير ؟

وهل يمكن أن نتحمل كل هذه الآراء فى الحواشى والتعليقات على كتب الفقه ؟ وهل يمكن التعصب لمذهب بعينه فى هذه الأيام ؟

كنت اقرأ فى كتاب قصص الأنبياء المسمى « عرائس المجالس » للثعالبى، فلما أخبرت شيخى « الأستاذ : أحمد عبد الجواد الدومى ــ رحمه الله » بما أعانيه من غرائب القصص فى هذا الكتاب ، أمرنى بحرقه والتخلص منه،

لأنه مليء بالاسرائيليات التى لا تليق ومقام الأنبياء صلوات الله عليهم ، ثم أمرنى ألا اقرأ كتاباً حتى أخبره أولا ! •

لماذا نروج الأكاذيب ؟ وكيف تجرأ المفسرون لكتا ب الله على وضع مثل هذه القصص فى التفاسير رغم مخالفتها للمعقول وصحيح المنقول ؟؟

لقد وقع الشباب فى حيرة وخلاف وتشتت نتيجة اختلاف تلك الكتب والتمسك بمرويات كاذبة ، وتضارب الفتاوى من العاملين فى الدعوة الاسلامية •



علم التوحيد ـ علم الكلام ـ ونموذج للتجديد

سألت أحد الشباب : لماذا لا تحضر دروس العلم وخطب الجمع كما كنت تفعل ؟ فأجاب : لأننا نختلف حول وجود الله ؟ .

قلت سبحان الله ، ولماذا يا أخي ، ألسنا جميعاً نؤمن بوجود الله الواحد الأحد الخالق الرازق الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، المتصف بكل كمال والمنزه عن كل نقص ؟

قال : نعم ، ولكنك عندما سئلت عن « أين الله » ؟

أجبت بأنه فى كل مكان .. كان ولا مكان ، ولا يسأل عن زمانه لأنه سبحانه خلق الزمان ، ولا يسأل عن مكانه لأنه خلق المكان ، فسبحان من لا يحويه مكان ولا يجرى عليه زمان ، ولا يسأل عن كنهه وهيئته لأنه « ليس كمثله شيء » قلت له : وما الخطأ فى هذا ؟

قال : اننا نؤمن بعقيدة السلف ، وهى أن الله فى السماء بذاته « الرحمن على العرش استوى » ، وفى كل مكان بعلمه وقدرته .

قلت سبحان الله : ولكنى لا أنكر أنه مستو على عرشه سبحانه بلا كيف كما أن هذا لا يتعارض مع ما ذكرت ، ثم ان الله سبحانه يحل فى الأماكن كلها لأنه ليس مادة كمثلنا فالانسان مثلا لا يحل فى مكانين فى وقت واحد ، ولكن الله لا يحده مكان ، قال : هذه عقيدتنا التى قرأناها ! قلت : نحن لم نختلف ، وحتى لو اختلفنا فأرجو أن لا يفسد خلافنا للود قضية ؟ هذه الحادثة أقل ما يحدث من الشباب ، بيد أن الالحاد وانكار وجود الله قد أخذ يتسرب الى عقول بعض الأذكياء من الشباب « وخاصة طلاب الجامعات »

يتركون الصلاة والصيام وينفلتون من قيود الدين والشرع والبيئة حولهم بمغرياتها تساعدهم على ذلك .

فكيف يتناقش هؤلاء في العقيدة والتوحيد وأركان الايمان ؟

ذكر ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله ج ١

يروى جبير بن نفير عن عوف بن مالك الأشجعي أنه قال : بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ نظر الى السماء فقال : هذا أوان يرفع فيه العلم ، فقال له رجل من الأنصار : يرفع عنا يا رسول الله وفينا كتاب الله وقد علمناه أبناءنا ونساءنا ؟ فقال رسول الله : « ان كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة » وذكر له ضلالة أهل الكتاب وعندهم ما عندهم من كتاب الله ، ثم التقى جبير بن نفير بشداد بن أوس فأخبره بهذا الحديث عن عوف بن مالك فقال شداد : صدق عوف ، ثم قال : هل تدرى ما رفع العلم ؟ انه ذهاب أو عيته ، وهل تدرى أى العلم يرفع ؟ هو الخشوع حتى لا يرى خاشعاً .



نحـــو تبسيط علم التوحيـــد

قضى النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عاما من عمر الدعوة « الدعوة المكية » فى ارساء دعائم التوحيد ، يقول : « معشر الناس : قولوا لا اله الا الله تفلحوا » ، وقضية ثبات العقيدة تسبق التشريع والفقه والأخلاق ، غير أننا لا نهتم بها الآن قدر اهتمامنا بأشياء أخرى ، حتى تسربت عقيدة الشرك بالله الى العقول .

وأركان العقيـدة « الايمــان » وهى : الله وملائكتـــه وكتبـــه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر ، كتبت فيها كتب كثيرة مثل : العقيدة الطحاوية ــ معارج القبول ــ عقيدة السنة والجماعة ... الخ .

ولأهمية علم الكلام أدخل الامام الغزالى (١٠٥٩ ــ ١١١١ م) مادة المعقولات الى منهج الطلبة حتى يتخرج العلماء المتمـكنون مـن الرد على الأفكار الملحدة بأسلوب عصرهم ! ولكن تنتهى أهمية علم الكلام تلقائيـا بنهاية العصر الذى وضع فيه فليس اليوم مجـال الخوض فى اختـلافات قضايا الحسن والقبح بين المعتزلة والأشاعرة مثلا ! كذلك فان « معقولات » الأمس صارت اليوم : غير معقولات ولهذا فان مدارسنا الدينيـة فى عالم اليوم مشغولة بتربية وتخريج أناس كانوامفيدين للعمل قبل خمســة قرون من الزمن ، لكن من الواضح أن أمثال هؤلاء لا يستطيعون اظهار الاسـلام اليوم على المستوى الفكرى فى هذا العالم المتطور . ولا شـك أننـا فى حاجة الى معقولات اسلامية « جديدة » نخاطب ذلك العالم المتغير نستمدها من كتاب الله ، وهى نتاج المؤتمرات الاسلامية للاعجـاز العلمى للقـرآن والسنة . يذكر الأستاذ وحيد الدين خان بعض الواجبات المطلوبة لتدوين علم الكلام الجديد : [١] .

---

(١) تجديد علوم الدين ــ وحيد الدين خان

١ ــ صياغة نظرية علمية قائمة على أسس قرآنية «الاسلوب الاستدلالى» بعدما أصبح من المسلم به الآن أن الانسان غير قادر على الاستدلالى بالمشاهدة المجردة وأن الانسان باستطاعته الاستدلال الاستنباطى « الاستنتاجى » قال تعالى : « وما آوتيتم من العلم الا قليلا » .. (الاسراء : ٨٥) .

٢ ــ تدوين علم الآثار القرآنى « للعظة والعبرة » وقد أشار الله اليه بقوله : « وذكرهم بأيام الله » (ابراهيم : ٥) يشير الى الأنبياء والحضارات القديمة ومصيرها .

٣ ــ تدوين آيات الآفاق « الآيات الكونية » لقوله سبحانه : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » (فصلت : ٥٣) باستغلال الاكتشافات العلمية الحديثة ، وكلها توثق الدعوة ، وتزود الداعية بأسلحة فكرية لمواجهة التبشير والجماعات الصهيونية من ماسونية وبهايئة وروتارى وليونز وغيرها .



علم الفلك اللاسلكي والتجسس على السماء

مادة سنن الله الكونية

الفـــــيزياء ســـــابقاً

تسمى هذه المادة « الفيزياء Physics أو الطبيعة ، وهي تشتمل على التغيرات الطبيعية للجوامد كالحرارة والبرودة والحركة والطـــــاقة وتحولاتها والصوت والضوء والأمواج والمغنطيســـية والكهربية والضـــغط والطاقة الشمسية والذرية وما يترتب على كل ظاهرة من اختراعات وتطبيقات والمسلم يدرس هذه الظواهر في كون الله عز وجل ليتعرف على قدرته سبحانه بل ان هدف العلم بها لابد وأن يقترن بهذه النية ، وعزل هذه العـــــلوم وتطبيقاتها وتدريسها دون الاشارة الى الخـــالق والمغير لنواميس الـــكون وقوانين الطبيعة لهو الجحود بصاحب النعم الذي يفتح على عباده كل يوم المزيد من أسرار كونه .. ولكن للأسف هذا هو واقع المسلمين ! .

لم يتنبه أحد الى ذلك من قبل (١) :

ولا حتى الاسم ، ونحن ــ بتوفيق الله ــ نرى أن يتغير اسم هذه المادة في جميع المدارس الى « سنن الله الكونية » لأنها تتناول بالدراســـة طبيعة الأرض التي سخرها الله للانسان ، فهو سبحانه أقسم في كتابه « فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون » (الحاقة : ٣٨ ، ٣٩) ونحن لا نبصر أشـــياء لا حصر لها بدءاً من الفيروسات والبكتريا الى الموجات الكهرومغناطيســـية للراديو والتليفزيون والرادار واللاسلكي وغيرها في الهواء .. « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصــغر من ذلك »

---

(١) فكرة المرحوم الشيخ احمد عبد الجواد الدومي .

(يونس : ٦١) فهو سبحانه ذكر لنا أن هناك أصغر من الذرة والعلم يفترض وجود الكترونات سالبة تدور حول النواة وبروتونات موجبة فى نـواة الذرة مرتبطة بطاقة الترابط النووى ، ويمكن أن تنطلق هذه الطاقة (كما يحدث فى القنبلة الذرية) أى أن أسس هذا العـلم وقواعده مقـررة فى القرآن الكريم ، وكان الأولى أن تفتتـح بها كتب الطـلاب فى المدارس والجامعات ؟

لقد وصل العلم الى أن مدارات الالكترونات سبعة فى أثقل الذرات ، وما يتمثل فى الذرة (كأصغر وحـدة فى المادة) يتمثـل فى الكون الكبير قال تعالى : « الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » (تبارك : ٣) يتمثل فى ألوان الطيف السـبعة المعـروفة ، وأيام الأسبوع السبعة .. نظام الله فى خلقه ! وأكثر من خمسين آية تدعو الى النظر وطلب السير فى الأرض للتعلم « قل سـيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » (العنكبوت : ٢٠) .

ومن يعارض فى أن القرآن كتاب علم فليتدبر آياته ليرى أن ألفاظ العلم قد تكررت فى القرآن أكثر من ١٦٠ مرة ، وأنه قد حوى ٦٢٣٦ آية ، منهـا حوالى ٧٥٠ آية كونية وعلمية ، والباقى آيات التشريع والعبادات والتوحيد والتأمل والأخلاق والقصص [1] .

المعرفة شىء واحد :

ذكرنا أن العلوم وحدة واحدة يكمل بعضها بعض ، فعلوم الحياة مثـلا (البيولوجى) تتصل بعلوم الكيمياء التى تتصل بدورها بالرياضيات وكلهـا متصلة بمادة سنن الله الكونية (الطبيعة) ، كما أننا نعلم أن أحدث الأجهزة المعاصرة تعتمد فكرتها على الاقتباس من المخلوقات أو أجزاء من الكائنـات الحية .

---

(١) القرآن والعلم الحديث ـ عبد الرزاق نوفل دار الشعب ـ مصر ١٩٨١

فمثلا : فكرة آلة التصوير (الكاميرا) مستمدة من تركيب عين الحيوان والانسان كما أن فكرة تركيب الطائرة مستمدة من شكل الطائر ، بل ان طائرات الانذار المبكر أو الاستشعار عن بعد التى تسمى (A. O. X) مستمدة فكرتها من عيون طيور البوم ، تلك التى ترى الفئران فى ظـلام الليل الحالك ، لأن عيونها حساسة مستعدة لالتقاط الاشعاعات الحـرارية التى تصدرها أجسام الفئران الدافئة ، ومعلوم أن الجسم الحى يشع حرارة الوسط حوله « فتبارك الله أحسن الخالقين » .

الحمد لله رب العالمين :

هذه أول آية فى فاتحة الكتاب تؤكد وجود عالمين ، عالم منظـور (وهو ما نراه بالعين المجردة) ، وعالم غير منظور ، لا يرى بالعين المجردة ، ويقوم العلماء ان هذا العالم أوسع وأرحب من العـالم المنظـور وأكثر ازدحاما (٢) .

التنجيم والتجسس على الله :

يقول الله عز وجل « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » (النحل : ١٦)
ويقول : « وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البـر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون » (الأنعام : ٩٧).

فالله سبحانه قد خلق النجوم لنهتدى بها فى البر والبحر ، ونجعلها علامات نعرف بها أوقات الليل (كتحديد الفجر مثلا) ، وزين بها السماء ، وجعلها رجوما للشياطين الذين يحاولون التجسس على السماء أو التصنت ، وموقعها هذا عظيم لو تعلم سره ، قال تعالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم » .. (الواقعة : ٧٥ ، ٧٦) .

وقال : « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشـياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير » .. (تبارك : ٥) .

---

(٢) المرجع السابق

غير أن الناس نسوا ذلك ولم يلتفتوا اليه ، بل ونسبوا للنجوم أنها تدبر أمور العالم ، وقسموا الناس الى مواليد وأبراج ، وكتبوا فى علم التنجيم حتى أن بعض الجرائد والمجلات تحرص على كتابة باب : (أنت والنجوم ، وحظك اليوم) وصار الناس يعتقدون فى الحظ ، بل ان الآلاف من الفتيات والشباب يحرصون على قراءة هذا الباب والتصديق بما جاء فيه ؟ .

من هنا ندرك خطورة انحراف العلم بابعاده عن الله ، حتى يشرك الناس بربهم ويحاولون معرفة الغيب بالكهانة وهو محرم عليهم لأنه من اختصاص الله وحده حيث يقول سبحانه :ـ

« ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت » (لقمان : ٣٤)

محاولات التجسس على الله :

فترى بعض المنجمين (الفلكيين) العالميين يحدد يوم القيامة ، أو يحدد نهاية الأرض (بزعمه) ساعة كذا يوم كذا ؟ .. ولقد انتظر الناس فى أوروبا هذا اليوم فعلا وباعوا أملاكهم استعداداً لفناء البشرية ؟ ..

ويحاول رجال الارصاد التنبؤ بالأحوال الجوية العواصف والأمطار بما لديهم من أجهزة قياس للحرارة والضغط والريح والزلازل وغيرها ، غير انه كثيراً ما تخطىء هذه التقديرات أو التوقعات لأنهم غالبا لا يقولون ان شاء الله فيخلف الله ظنهم .

أما التجسس على ما فى الارحام فقد بلغ مبلغا خطيراً ، حيث يتجه بعض الناس الى الأطباء لتحديد نوع الجنين وهو مازال فى الرحم عن طريق التصوير بالأشعة ، وكثيراً ما تؤثر هذه الاشعاعات على خلايا الجنين وتحدث به تشوهات دائمة ، ويكون ذلك العقاب الربانى لكل من تسول له نفسه

التجسس على الله ، طفلا به عاهات وعيوب خلقية يعـذب الله به أهـله بما جنت أيديهم •

وانا نحذر المسلمين من هذا التصرف الذى يعتبر تعدياً لحدود الأدب مع الله عز وجل ، أما ماذا يحدث غداً •• أو أين سنموت فلا أظن أن أحداً قد وصل لشيء ؛ وكلها تخمينات وأكاذيب •

التجسس على السماء ونتائجه :

أعد الله للشياطين رجوماً اذا استرقت السمع ، فماذا ينتظر الانسان ؟ والبداية كانت سنة ١٩٣٢ م عندما كان العالم (كارل جانسكى) يعبث بمفاتيح جهازه الذى يحمل اليه اذاعات العالم المختلفـة فى (نيو جرسى) ، فالتقط الجهاز أصواتا غامضة واشارات مبهمة لم يكن قد استمع اليها من قبـل ، وبعد مراقبة دامت أكثر من ثمانية أشهر وجد أن الصوت يأتى بانتظام الا أنه يتقدم كل ليلة عن سابقتها بأربع دقائق •

ولما كان دوران الأرض حول الشمس يجعل النجوم تشرق وتغرب كل يوم متقدمة بأربع دقائق عن اليوم السابق ، توصل (جانسكى) الى حقائق علم جديد أطلق عليه علم الفلك اللاسلكى وهى أن فى السـما ءأصـوات واذاعات •• وفى سنة ١٩٤٠ تطور هذا العلم ورسمت أول خريطة لاسلكية للسماء ! وفى سنة ١٩٤٢ زادت الأدلة على صـحة نظرية جانسـكى ، وأكد العلماء صحة هذه الاذاعات عندما عطلت سلسلة من الأصوات اللاسلكية عملية استقبال الرادار كان بسبب اشارات لاسلكية من مجهول وراء الأفق •• أى فى النجوم والأفلاك •

ولهذا بدأ العلماء فى اقامة التلسكوبات اللاسلكية فى مراصد خاصـة يمكنها التقاط اشارات من مسافات شاسعة فى الفضاء •

وفى سنة ١٩٥٨ أعلن كبير علماء الفلك فى بريطانيا أنه تمكن من التقاط موجات لاسلكية من كوكب « المشترى » وفى سنة ١٩٧٦ تم تشكيل لجنة

عالمية لدراسة الاشارات الكهرومغناطيسية التى ترد الى الأرض ، وقد ثبت أنها صادرة من كواكب بعيدة ومن حضارات أسمى من حضارة أهل الأرض •• ومن مخلوقات اذكى من البشر الذين يسكنون الأرض ، ثم حدثت ظاهرة الأطباق الطائرة التى وجدت على الأرض ولم يعرف سرها بعد ••

ومازالت أبحاث العلم كل يوم تطالعنا بجديد هنا نذكر قوله سبحانه وتعالى :

« قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض ، وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » (يونس : ١٠١)

* * *

لماذا تحطم كوزموس وشالنجر ؟

ثم حاول الانسان أخيراً أن يرسل المركبات الفضائية ، لا الى القمر فحسب ولا الى المدار الخارجي للأرض فحسب ، بل الى بعيد الى السماء .. ولم يستمع الانسان الى القرآن يناديه : « يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان » .. (الرحمن : ٣٣) .

قال بعضهم : السلطان هو العلم ، ولكن الله يحذرنا فى الآية التالية : « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » ولقد نفذ الله تحذيره للجن « الا من استرق السمع فأتبعه شهاب ثاقب » .. (الحجر : ١٨)

وأكاد أجزم أنه سبحانه وتعالى نفذ وعيده للبشر أيضا ، ففى نهاية سنة ١٩٨٥ تحطم مكوك الفضاء الأمريكى « تشالنجر » ومعناه التحدى ، ولا أدرى تحدى من بالضبط ؟ ولم يعرف سر تفجره حتى الآن ؟ ..

وفى فبراير سنة ١٩٨٦ أرسلت أمريكا انسانا آليا بكاميرات تليفزيونية يبحث فى الأطلنطى عن غرفة قيادة مكوك الفضاء « تشالنجر » لكشف الغموض الذى يحيط بانفجاره ؟ ! وفى العاشر من فبراير سنة ١٩٨٦ أعلنت أمريكا تأجيل رحلات الفضاء ولأجل غير مسمى بسبب كارثة « تشالنجر » [1] ومن سخرية القدر بالانسان أن ما حدث لأمريكا حدث فى الشهر التالى لسفينة الفضاء السوفييتية كوزموس ٦ بنفس الغموض ، حيث سقطت وتحطمت ولم يعرف السر ، فماذا يعنى هذين الحدثين المتتاليين ؟ ..

---

(١) جريدة الأهرام القاهرية ١٩٨٦/١٢/٢٦ م

ضرورة إعادة كتابة تاريخ المسلمين

ثارت على صفحات الجرائد في الأيام الأخيرة حملة أثارها العلمانيون ، ثم نظمت لها ندوات لمناقشتها وقد ثارت لعبارة مغرضة قوادها ، « أن المسلمين ليس لهم تاريخ مشرف ، وأن التطبيق الحقيقى للاسلام لم يتعد زمن الرسول والخلافة الراشدة . وأننا لا نعدو أن نقول كان أبو بكر وكان عمر وكان عثمان وكان على ، ثم توالت على قيادة الدولة الاسلامية دول وبادت دول ، وكلها حكمت باسم الاسلام ، وتصارعت باسم الاسلام ثم زالت » .

ولا ندرى الحق مع من ؟ ..

وأننا اليوم ونحن ننادى بتطبيق الشريعة الاسلامية لتصبغ معاملاتنا كلها بصبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ، أى اسلام تريد وأى شريعة تريد ؟؟ أهى شيعة ايران ؟ أم هى شريعة الخوارج الذين دافعوا باستماتة عن عقيدتهم وكفروا أئمة المسلمين ؟ أم هى شريعة المعتزلة واعمال العقل ؟ ، أم شريعة المتصوفة التى انقسمت الى مئات الطرق واقتصرت الآن على الرقص فى موالد الأولياء ..

ام هى شريعة اهل السنة وهم كثير ؟

وقد ارتضت منهم الأمة أربعة ، فأيهم تطبق ؟ .

اننا اذا نادينا بالاسلام اليوم ستؤدى الى افتراق الأمة وتمزقها من جديد ، والا فهيا الى كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة دون النظر الى ذلك الميراث الضخم من التخلف والخلاف الذى أدى الى اختلاف المسلمين وتفرقهم وضعف شوكتهم .

والموقف اليوم فى غاية الحرج :

هل نهيل التراب على ذلك التاريخ ونبنى تشريعاتنا وفقهنا على كتاب الله وسنة رسوله ؟ أم أننا نعيد كتابة التاريخ بدقة علمية دون تحيز لنتخير من كل فرقة أحسن ما عندها .. نتفق على الأصول ويلتمس بعضنا لبعض عـذراً فيما إختلفنا مع قاعدة هامة ،وهى أن الاختلاف لا يفسد للود قضية ؟ ..

وانئا نميل الى الرأى الأخير ..



علـــم الفقـــه والمذاهب ...
واســـباب الشـــقاق

ذهاب الخشوع من القلوب جاء نتيجة تحويل الدين الالهى الى « فن » ذى مصطلحات معقدة ، ثم تفريغ هذا الفن الى (فنون) توارثناها من عصور الاجتهاد ، وأصبح من المستحيل على أى مســلم اليـوم أن يلم بكل هــذه الفنون [1] وقد تسرب الفساد الى ديننا من ثلاثة مداخل رئيسية هى الفقه والتصوف وعلم الكلام ، ويستطيع المسلم اذا نظر فى القرآن الكريم وصحيح السنة ان يكتشف أن هذه الفنون نتاج عصور متــأخرة ، وكانت مجهــولة لأصحاب الرسول .

كان رســـول الله صلى الله عليه وســلم يتوضــأ فـيرى الصــــحابة وضوءه فيأخذون به من غير أن يبين لهم أن هذا ركن وهذا أدب ، وكان يصلى فيرون صلاته وقال لهم : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » ، ثم حج فرمق الناس حجه ففعلوا كما فعل ، ولم يبين لهم أن فروض الوضـــوء ســتة أو أربعة ، ولم يفرض أنه يحتمل أن يتوضأ انسان بغير موالاه حتى يحكم عليه بالصحة والفساد الى ما شاء الله ، وقلما كانوا يسألون عن هذه الأشياء . بهذا التيسير تعلم الصحابة الدين ، ولم يهتموا بالهيئات والحـــركات قـــدر اهتمامهم بالجوهر والخشوع ، ثم نشأ جيل التابعين وتابعى التابعين ، وبدأت الروايات التى تصل الى العلماء تختلف صحة وضعفا ، وتشــعبت الآراء ، وظهر الاجتهاد فى العبــادات ، وانقســم العلمــاء الى فريقين : محـــدثين « ملتزمين » بحديث رسول الله ، وفقهـــاء (يهتمون بالقيـــاس والاجتهـــاد والرأى) واشتد الخلاف بينهما .

● تطـور علم الفقــه :

كان الفقه فى بداية عهده يهـــدف الى الترجيـــح بين الروايات ، لكـــن

---

(١) تجديد علوم الدين ــ وحيد الدين خان .

الظروف المتغيرة كانت تثير أسئلة وقضايا جديدة ، فبدأ الفقهاء يستخرجون أحكاما جديدة بناء على الأحكام المعروفة السابقة ، وهكذا بدأ عهد جديد فى تاريخ الفقه ، هو عهد التخريج من الأحاديث والأثار ما يقدر على استنباط الفقه على الأصول التى أختارها أهل الحديث ، فمهدوا الفقه على قاعدة التخريج ، وهكذا أصبح الدين فناً معقداً لا يعرفه ولا يجيده الا خبير الفقه ، والرسول يخبرنا : « بعثت بالحنيفية السمحة » [1] .

وقد أدى هذا النهج الى الخوض فى مسائل تعبدية لم تكن معهودة فى زمن الصحابة ، واليك عزيزى القارىء هذه الواقعة [2] :

حين وصل الامام الشافعى الى الكوفة لأول مرة :

لم يستسغ فى المسجد صلاة أحد الشبان ، فقال له : « أحسن الصلاة حتى لا يعذب الله وجهك الجميل فى النار » ، فرد عليه الشاب قائلا : « اننى أصلى فى هذا المسجد منذ خمس عشرة سنة أمام محمد بن حسن وأبى يوسف (وهما صاحبا أبى حنيفة) ولكنهما لم يقولا لى شيئا وأنت تعيب على صلاتى ؟ ٠

وكان الامامان متواجدين فى ذلك الوقت خارج المسجد ، فتوجه الشاب اليهما وسألهما هل رأيتما فساداً فى صلاتى ؟ فأجاباه قائلين : لا والله، فأخبرهما الشاب ان شخصا بالمسجد قد اعترض على صلاته ، فقالا له : اذهب اليه وأسأله كيف تدخل فى الصلاة ؟ فعاد الشاب الى الشافعى وسأله : يا من عاب على صلاتى بم تدخل فى الصلاة ؟ فأجابه الشافعى « بفرضين وسنة » ورجع الشاب الى الامامين بالرد فقالا : انه رد شخص له باع فى العلم ، ورجع الشاب يسأل الشافعى : ما الفرضان والسنة ؟ فأجاب الشافعى : ان الفرض الأول النية ، والثانى : تكبيرة الاحرام ، أما السنة فهى رفع اليدين ٠٠

---

(١) حجة الله البالغة ــ ولى الله الدهلوى ج ١ ص ٢٥٩
(٢) رحلة الامام الشافعى الى مصر ــ المطبعة السلفية القاهرة ١٣٥٠ هـ

اما الذى أفسد الود بين العلماء فهو كثير نذكر منه هذه الواقعة :

يروى الفضل بن موسى أن المحدث المشهور الأعمش (١٤٧ هـ) مرض ذات مرة فذهب أبو حنيفة لزيارته ومعه الفضل بن موسى ، فقال أبو حنيفة للأعمش يا أبا محمد ، لولا التثقيل عليك لزدت فى عيادتك ، فقال الأعمش : والله انك على لثقيل وأنت فى بيتك فكيف اذا دخلت على ؟ !

وعقب الخروج قال أبو حنيفة للفضل : إن الأعمش لم يصم رمضان قط ولم يغتسل من جنابة ، وكان الأعمش يرى الماء من الماء [أى لا يغتسل حتى يخرج المنى] ويتسحر على حديث حذيفة (أى الآذان الثانى) ؟ ! .

هذا حكم يصدره أبو حنيفة على الأعمش لمجرد أنه كان يخالفه الرأى فى مسألتى تناول السحور والأغتسال ؟ [١] .

بداية المهالك :

لقد ترتب على الانغماس فى هذا النوع من المباحث والمسائل أن ظهر الى الوجود فن كان يجهله أصحاب رسول الله ، فلم يكن أحد منهم يعلم أن الوضوء يشمل أربعا من الفرائض وثلاث عشرة من السنن وثمان من المستحبات ، ويصل الأمر لأن يعلن أبو حنيفة للأوزاعى :
لولا فضل الصحبة لقلت أن علقمة أفضل من عبد الله بن عمر » [٢] .

وكان الضحاك الفقيه يكره المسك ، فقيل له ان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يتطيبون بالمسك ، فرد الضحاك : نحن أعلم منهم [٣] .

وهكذا صدق على هذه الأمة ما رواه أبو يعلى فى مسنده عن أبى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعمل هذه الأمة برهة بكتاب الله ، وبرهة بسنة رسوله ، ثم يعملون بالرأى ، فاذا فعلوا ذلك فقد ضلوا » ..

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ٢ ص ١٥٧
(٢) حجة الله البالغة ص ٢٧ ٣
(٣) جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ١٠٠

لم يعد بوسع عالم أن يشرح للناس دينهم فى ايجـاز ويسر ، ولما كثر الكلام فى العبادات ، فقد أهمل فقه المعاملات حتى نسيه الناس •

فهل يعقل أن يشرح عالم للمسلمين أنواع المياه والطهارة فى ثلاثين حلقة ان وقت الناس لم يعد يسمح ، كما أن العقول المشغولة بالدنيـا لم تعد تتحمل كثرة الآراء •

ان فقه العبادات على صـورته الحالية ــ أعطى المسـلمين هديتين الجمود والاختلاف (٢) •

فما هو الحل ؟

ان الحل يكمن فى فصل فقه « المعاملات » عن فقه « العبادات » كمـا كان فى القرن الثانى الهجرى ، والاجتهاد والتوسع فى فقه « المعاملات » هو المطلوب الآن ليحل محل القانون الوضعى ــ وهناك الكثير من العلماء المعاصرين كتبوا فى ذلك نذكر منهم ــ كتاب الاسلام للشيخ سعيد حوى ، والقوانين الكاملة الجاهزة التطبيـق فى مجلس الشـعب فى مصر والتى روجعت بمعرفة لجنة من كبار علماء الأزهر الشريف ، أما فقه العبادات فلابد أن يبقى محدودا ، فليس معقولا فى هذا الزمان أن يدرس الطلاب مسـائل الفقه الحنفى أو الشافعى بعد أن لم يعد لها وجود ! •

وبدلا من حفظ أربع مجلدات فى الفقه مثلا ، يكفى كتاب واحد ، يجمع الفقه مرتبا بالأحاديث الصحيحة (ككتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليـه الشيخان تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى) وكلما كانت هناك أكثر من طريقـة لتأدية عبادة ما أو جزء منها فلابد من ذكرها بمصـدرها دون بذل جهـد لترجيح طريقة على آخرى ، أو تعصب لمذهب على آخر •

نريد أن نعلم الناشئة دينهم فى ايجاز وسهولة ، ومادامت فى دين الله سعة فلا حرج •

---

(٢) تجديد علوم الدين ص ٣٣

علم التصـــــوف والتخلف ! !

أما التصوف فقد أحدث فى الاسلام ما لم يحدثه الخوارج والشـيعة والمعتزلة وفى القرن الثالث تحول التصوف المظهرى المتمثل فى لبس الملابس الصوفية الى فن روحى له قواعده ومصطلحاته التى لم تكن معروفة أيام النبى وأصحابه ، وظهر من يقول : « ان للقرآن ظاهراً وباطنا والمراد باطنه » ولهذا سموا الباطنية وقد أجمع علماء الأمة على أن هذه الجماعة من الزنادقة الذين وضعوا هذه النظرية لاخفـاء اباحيتهم وفسـقهم ، وكانوا يقولون الصوفى لا مذهب له وحين قيل لأحد الباطنيين : ألا تصلى ؟

فقال : أنتم مع أورادكم ونحن مع وارداتنا (١) .

من هؤلاء الصوفية من يؤمنون بالحلول والاتحاد :

ومنهم من يقول عن الله « أنا هو وهو أنا » ، ومنهم مـن كان يؤمـن بنظرية « وحدة الوجود » التى قال بموجبها أبو حسين الحلاج : « ما فى الجبة الا الله » فأفتى العلماء بردته وقتـل فى عهد المقتـدر سنة ٣٠١ هـ ، وكثير من طرق التصوف تقول بأن سماع الموسيقى والرقص وسيلة للتقرب الى الله .

وقد اجمع العلماء على ضلال الفرق السابقة :

لكن الذى نناقشه هو تلك الطرق الصوفية التى حظيت لدى البعض بالقبول ، ولايزال كثير من المسلمين يظنون أنها أقرب السـبل الى الهداية والنجاة من عدة جهات :

الأولى : الابتداع فى العقيدة والوثنية فى الدين .

الثانيه : الاضافة العددية فى الطرق التعبدية المسنونة .

---

(١) تجديد علوم الدين .

الثالثة : الاضافة النوعية فى الطرق التعبدية المسنونة .

أما الأولى : فقد جعلوا القبور مساجد ، ودفنوا موتاهم فى المساجد وهذا فعل محرم بالحديث الصحيح : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .. ومخالف للآية الكريمة : « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » (الجن : ١٨) ثم جعلوا لها الأعياد والموالد، وقدموا لها القرابين (النذور) وعادات الوثنية الى بعض بلاد المسلمين بفعلهم ، فأصبح العوام يسألون الأولياء من دون الله ، ويشدون الرحال الى الأضرحة كأنها الحرم ، وقد يمكثون أياما وليالى .

أى أن القبر والصنم سواء فى الحكم ، وهذا لم يحدث لا فى أيام الرسول ولا الصحابة ولا التابعين ولا تابعى التابعين .

أما الثانية والثالثة : فقد حذر رسول الله منهما ، فالاضافة العددية والنوعية فى الدين تفتح أبواب الفتن والأهواء ، وفيها اتهام لرسول الله بأنه خان الرسالة .

الاتباع اولى من الابتداع :

روى البخارى ومسلم عن أنس :

« جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها (أى اعتبروها قليلة) فقالوا : وأين نحن من رسول الله وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا ، وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أما أنا فلا أتزوج النساء .

فجاء رسول الله فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

وقد مضى زمان الذين يقيمون الليل كله يسبحون ويستغفرون ، كما لم يعد بين الناس من يصوم الدهر كله (الا نادرا) ، ولا يوجد من يختم القرآن ثلاث مرات كل يوم ، وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن أن يختم القرآن فى أقل من ثلاثة أيام ، والسنة أن يختم القرآن كله فى كل شهر مرة تقول بعض الروايات الكاذبة أن فلان كان يختم القرآن أربعين مرة كل يوم وهذا يستحيل عقلا ، وصدق فيهم قوله سبحانه .

« فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » .. (مريم : ٥٩) . (والغى أى الضلال) .

على المسلم ان يفكر ويقارن :

فى عصر انطلق فيه الناس الى الفضاء الكونى ، وراحوا يبحثون فى أعماق البحار نرى الملايين من المسلمين يتجهون الى أضرحة الأموات ! وليس معقولا أن نسمى ضريح الحسين بالعراق حرما ؟ .

بعد ما حدد الرسول فى حديثه الصحيح : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » كما أنه ليس من المعقول أن تنقل الأقمار الصناعية صور لآلاف المسلمين ينامون على الأرصفة فى الشوارع فى مولد أحد الأولياء وهم فى حالة من القذارة ، ونصور هؤلاء على أن هذا من الاسلام .

لقد بلغ عدد زوار السيد البدوى بطنطا فى مصر ٢ مليون مسلم من جميع أنحاء مصر وهو ما يعادل عدد حجاج بيت الله الحرام بمكة أم القرى ؟ وليس من المعقول أن تشجع الحكومات هذه الأفعال ، ونرى الاذاعة تنقل الاحتفال بالليلة الختامية لمولد سيدى فلان وسيدى علان ! ..

وليس معقولا أن يتداول المسلمون كتبا تتحدث عن كرامات الصوفية بأساطير لم تحدث لأصحاب رسول الله ، وأن تظهر كتب عن مناقب الشيخ فلان وهو حى يرزق ، يقول ابن مسعود : « من كان مستنا فليستن بمن مات ، فان الحى لا تؤمن عليه الفتنة » .

لقد ضل النصارى واليهود عندما أباحوا ما حرم الله ، فليس فى دينهم حرام أو مكروه ، فتبرج النساء واختلاطهم بالرجال ، وشرب الخمور وأكل الربا وأكل الخنزير وعزف الموسيقى والغناء بالكنائس مباح ، بل ان الأمر وصل فى انجلترا واستراليا الى اباحة الشذوذ الجنسى ، حيث يقوم القس بعقد قران رجل على رجل ، وامرأة على امرأة فى وثيقة زواج ؟ .

ويبدو أن بعض المسلمين من المتصوفة فى طريقهم الى ذلك ، فهم يتركون الصلاة ويخالفون سنة رسول الله ، بل وترتكب فى الموالد جميع المحرمات من زنا وشرب خمر وسماع غناء ولهو محرم ، فهذه الطرق صارت تبيح كل شيء باسم الدين وزيادة عدد المنتمين لهذه الطرق يغرى الشباب بالانضمام ، الأمر الذى يجب أن يوقف بالحزم ، وأن يتصدى له أولوا الأمر بكل قوة حتى ينتهى ان شاء الله ، ويلتئم شرخ الفتن الذى أحدثه هؤلاء .

وبالله التوفيق ..

تم بحمد الله

الاثنين الموافق الخامس عشر من المحرم ١٤٠٨ هـ
السابع من سبتمبر ١٩٨٧ م
جودة محمد عواد ــ القاهرة

* * *

فهرس الموضوعات